المختصر في كتاب الاسبوع رقم 203

سيغموند فرويد- مكتشف اللاشعور

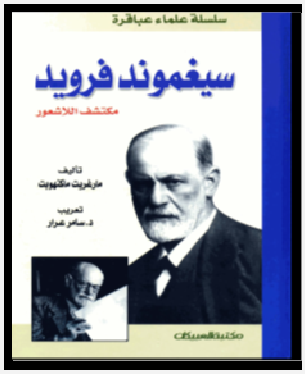

تأليف: مارغريت ماكنهوبت

تعريب: د.سامر عرار

تلخيص: أ. م. د. سند محمد حيدر- أستاذ علم النفس الطبي المساعد.

قسم العلوم السلوكية/ كلية الطب والعلوم الصحية/ جامعة عدن- اليمن.

تحرير: أ. د. معن عبدالباري قاسم صالح- أستاذ علم النفس السريري (العيادي)

قسم الطب النفسي/ كلية الطب/ جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل (الدمام سابقا).

Maanslaeh62@yahoo.com

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديد في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيد للتحديث المعلوماتي . في هذا الحيز الأسبوعي سنحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية السيكولوجية(النفسية)في موضوعاتها وبشكل وجيز بقصد تحفيز روح البحث والمتابعة عند زملاء الاختصاص والمهتمين من القراء بالعلوم السلوكية. ونظرا لتصادف هذا الشهر وتحديدا 6 مايو مع ذكرى ميلاد مؤسس مدرسة التحليل النفسي سيجموند فرويد، فقد قررنا أن نكرسه لتناول أبرز ماتيسر لنا من عرض مساهمة بعض من المؤلفين العرب أو الغربيين في الكتابة عن فرويد.

نبذة مختصرة عن المؤلف:

مارغريت ماكنهوبت هي كاتبة كندية مشهورة، ولدت في عام 1939، اشتهرت بروايتها الخيالية "The Handmaid's Tale" التي نشرت عام 1985، والتي اصبحت فيما بعد مسلسل تلفزيوني شهير. تعتبر ماكنهوبت من الكتاب المؤثرين في مجال الأدب النسوي والسياسي. وقد حصلت على العديد من الجوائز والتكريمات عن مساهمتها الأدبية.

نبذة مختصرة عن المترجم:

سامر عرار، مواليد مدينة دمشق في سورية، سنة 1960، عرار استشاري العلاج السلوكي والمعرفي ، دكتوراه في العلاج الارشادي والعيادي من جامعة جنوب كاليفورنيا وماجستير في الارشاد النفسي العيادي في مؤسسات الصحة النفسية من جامعة متشغن الغربية. أحد أعضاء خبراء النفس.

صدرت هذه الطبعة الأولى في عام 2004م، عن مكتبة العبيكان، الرياض- المملكة العربية السعودية. عدد صفحات الكتاب 226 صفحة. أحتوى الكتاب في متنه على الفصول التالية:

1. الأصول
2. التجارب
3. المحادثات
4. التفسيرات
5. المغادرات
6. الحلول
7. التفاعلات

مارغريت ماكنهوبت هي كاتبة كندية مشهورة، ولدت في عام 1939، اشتهرت بروايتها الخيالية "The Handmaid's Tale" التي نشرت عام 1985، والتي اصبحت فيما بعد مسلسل تلفزيوني شهير. تعتبر ماكنهوبت من الكتاب المؤثرين في مجال الأدب النسوي والسياسي. وقد حصلت على العديد من الجوائز والتكريمات عن مساهمتها الأدبية

نبذة مختصرة عن المترجم: سامر عرار، مواليد مدينة دمشق في سورية، سنة 1960، عرار استشاري العلاج

8. الواقع
9. المعاناة
10. الإرهاق

تمهيد

عبر القرون كان لابد لحب الذات الساذج عند الرجال من أن يتجلى من خلال عاصفتين رئيسيتين على يد العلم. الأولى عندما تعلموا أن الأرض ليست مركزا للكون وغنما هي مجرد قطعة صغيرة من النظام الكوني الذي يصعب تخيل حجمه. وقعت العاصفة الثانية حينما دمرت البحوث في علم الاحياء المكانة التي يعتقد أنها متميزة للإنسان من بين الخليقة وأثبتت أنه منحدر من مملكة الحيوان كما أثبتت طبيعته الحيوانية التي لا يمكن إلغاؤها... إلا أن هوس العظمة عند الإنسان جعلته يعاني من عاصفة ثالثة هي الاكثر إيذاء له وهي البحوث النفسية في وقتنا الحاضر التي تسعى ان تبرهن للأنا انها ليست سيدة نفسها، بل عليها أن تطمّئن نفسها بمعلومات ضئيلة عما يجري على المستوى اللاشعوري في عقلها... وهذا يزيد من الثورة العارمة ضد علمنا، والازدراء من كل اعتبارات المدنية العلمية وإطلاق العنان للمعارضة من كل قيود المنطق الحيادي.

1- الأصول ص 9- 34

تشير الكاتبة، أنه عندما يفكر معظم الناس بالمعالجين النفسيين، فإن ما يخطر ببالهم هو صورة فرويد وهو جالس بهدوء يراقب ويدخن سيجارا في الوقت الذي يكون المريض فيه مستلقيا على سرير ويتحدث عن أمه. قليل هم العلماء الذين كانوا مؤثرين أو تعرضوا للشجب على نطاق واسع كما كان حال فرويد. لقد كان فرويد مذنبا في نظر النقاد بسبب تقديم ادعاءات غامضة لا يمكن إثباتها علميا وبسبب التأكيد على أن دافع الجنس هو فوق جميع الدوافع البشرية الأخرى وبسبب استخدام خبرته الشخصية على أنها النموذج القدوة بالنسبة للنمو النفسي عند البشر. ولد سيغيموند Sigismund Scholomo Frued لأميليا Amalia ويعقوب (جيكوب) فرويد Jacob Freud في السادس من شهر أيار عام 1856 عاشت عائلة فرويد في بلدة فريبيرغ Freiberg في مورافيا Moravia وهي جزء من الامبراطورية النمساوية الهنغارية التي تقع اليوم داخل جمهورية التشيك. فريبيرغ المعروفة اليوم باسم بريبور Pribor كانت بلدة صغيرة تتألف من 5000 نسمة. عندما ولد سيغموند، كانت أسرته تعيش في غرفة واحدة مستأجرة في الطابق الثاني من بيت متواضع فوق دكان حداد. ذلك في الوقت الذي كان فيه معظم اليهود في مورافيا فقراء يعيشون في أحياء ضيقة. نشأ جيكوب فرويد في غاليسيا Galicia. وهي مقاطعة في الإمبراطورية النمساوية الهنغارية التي تم تقسيمها الأن بين بولندا وجمهورية التشيك. وغادر موطنه وهو في عمر 29 عاما وسافر إلى فريبيرغ حيث انضم هناك إلى جده الذي كان يعمل تاجرا للأقمشة. وفي عام 1859 عندما كان عمر سيغيسموند ثلاثة اعوام أنتقلت الأسرة إلى لايبزغ Leipzig في ألمانيا لمدة عام وبعده إلى فيينا عاصمة الامبراطورية النمساوية الهنغارية. وقبيل ذلك جاء لعائلة فرويد طفل ثان هي شقيقة أنّا Anna وفي السنوات الست التي تبعت ذلك تضخمت عائلة فرويد مع قدوم أربعة بنات أخريات هن أدولفين Adolfine وماري Marie، وبولين Pauline، وروسا Rosa وابن ثان هو ألكساندر Alexander.

أفادت المؤلفة، أنه عندما ولد سيغيسموند، كان عمر جيكوب (يعقوب) 40 عاما وكان أميليا 21 عاما. كانت أميليا إمرأة جميلة جدا وفخورة بمظهرها. وعندما أصبح عمرها 90 عاما، رفضت أن تشتري قبعة عرضتها عليها إحدى بناتها وصاحت قائلة "لا أريد أخذ هذه القبعة، لأنها تجعلني أبدو عجوزا! اما أحفادها فقد وصفوها على اختلافهم بأنها الإعصار أو التسلط فهي المراة الانفعالية التي لا تكظم غيظها. وفي رسالة إلى خطيبته ادعى سيغيسموند أن أمه قد أعطته "سمة الانفعالية" أي طبعه الحاد وانفعالاته

السلوكي والمعرفي ، دكتوراه في العلاج الارشادي والعيادي من جامعة جنوب كاليفورنيا وماجستير في الارشاد النفسي العيادي في مؤسسات الصحة النفسية من جامعة متشغن الغربية. أحد أعضاء خبراء النفس

تشير الكاتبة، أنه عندما يفكر معظم الناس بالمعالجين النفسيين، فإن ما يخطر ببالهم هو صورة فرويد وهو جالس بهدوء يراقب ويدخن سيجارا في الوقت الذي يكون المريض فيه مستلقيا على سرير ويتحدث عن أمه

لقد كان فرويد مذنبا في نظر النقاد بسبب تقديم ادعاءات غامضة لا يمكن إثباتها علميا وبسبب التأكيد على أن دافع الجنس هو فوق جميع الدوافع البشرية الأخرى وبسبب استخدام خبرته الشخصية على أنها النموذج القدوة بالنسبة للنمو النفسي عند البشر

عندما ولد سيغموند، كانت أسرته تعيش في غرفة واحدة مستأجرة في الطابق الثاني من بيت متواضع فوق دكان حداد. ذلك في الوقت الذي كان فيه معظم اليهود في مورافيا فقراء يعيشون في أحياء ضيقة

في رسالة إلى خطيبته ادعى سيغيسموند أن أمه قد أعطته "سمة الانفعالية" أي طبعه الحاد وانفعالاته الجياشة. اعتقد سيغيسموند فيما بعد أنه نسخة عن أبيه من الناحية الجسدية والنفسية

الجياشة. اعتقد سيغيسموند فيما بعد أنه نسخة عن أبيه من الناحية الجسدية والنفسية. فقد كان جيكوب (يعقوب) فرويد متفائلا على الدوام لكنه لم يكن في يوم من الأيام ناجحا جدا في التجارة وفي السنين المتأخرة من حياته أصبح غير قادر على إعالة أسرته. ادعى سيغيسموند فيما بعد أن أباه "قد سمح لي أن أنمو بعيدا تماما عن كل ما يتعلق باليهودية" لم تكن هذه العبارة صحيحة تماما لأنه وفقا لما جاء في سيرته الذاتية، بدأ سيغيسموند بقراءة العهد القديم عندما كان قد "اكتسب بالكاد مهارة القراءة" إلا أنه لم يتعلم أبدا قراءة العبرية. لم يكن سيغيسموند سعيدا باستجابة أبيه فقد درس في المدرسة الأعمال الكبيرة للأبطال وكان معجبا بشكل مطلق بموسى، نبي اليهود الذي أنقذ شعبه من العبودية في مصر وحمل إليهم الوصايا العشر عند جبل سيناء. كان سيغيسموند مدللا وظلت أمه تدعوه "سيغي الذهبي" حتى توفيت وعمرها 95 عاما وكثيرا ما أخبره أقاربه الكبار في السن أنه عندما ولد قالت إمرأة مزارعة لأمه أميليا أنها قد "انجبت للعالم رجلا عظيما" وفي مناسبة أخرى حينما كان سيغيسموند في عمر 12 عاما أخبره شاعر جوال أنه سوف يصبح وزيرا. وعندما باشر سيغيسموند الحضور في الجامعة في عام 1875 تم منحه غرفة خاصة به في المنزل بينما تم حصر أعضاء الأسرة الثمانية في غرف النوم الثلاث المتبقية.. أرادت عائلة فرويد أن تقدم تضحيات للابن البكر اللامع. وقبيل عام 1867 عندما كان عمر سيغيموند 11 عاما، لم يقض فقط التحرريون النمساويون على القوانين المناهضة لليهود بل حتى انضم يهود كثر إلى الحكومة. وكما استذكر سيغيموند فيما بعد لقد كان الزمن الذي في حينه حمل كل صبي يهودي مجتهد حقيبة وزير في حقيبته المدرسية. كان يعلم تمام العلم أن سبب حظه السعيد هو اصلاحات التحرريون وقد أيدها بقوة. وعلى الرغم من ذلك كان يهود فيينا أثناء طفولته وشبابه متفائلين واستطاع أن يمارس عمله من غير خوف شديد من التمييز. نشأ سيغيموند محاطا بالتاريخ التوراتي. وفي الفترة المتأخرة من حياته ملأ كتاباته بمراجع العهد القديم وكثيرا ما كان يكتب عن المعاني والمضامين النفسية للتوراة. ومع ذلك أصبح ملحدا متشددا (وهو الشخص الذي لا يؤمن بأي إله) في مرحلة مبكرة وبقي كذلك طوال حياته. كانت مشاعره حول هذه المسألة قوية جدا إلى درجة أنه قاطع وهو في سن الرشد جميع المناسبات الدينية اليهودية في بيته إلى درجة أفزعت زوجته. (إلا أنه كتب في سيرته الذاتية "لقد كان والداي يهوديين وبقيت أنا نفسي يهوديا") لقد خشي أن يصبح التحليل النفسي أكثر شعبية أن ينظر إليه على أنه علم يهم اليهود فقط.

وتضيف الكاتبة، أن فرويد بدأ تحصيله الدراسي في فيينا وفي البداية تعلم على يد والده في البيت. وبعد ذلك ذهب إلى مدرسة ابتدائية خاصة وبعدها دخل وهو في عمر 9 سنوات إلى المدرسة الألمانية gymnasium وهي مدرسة تضم المرحلتين الثانوية والإعدادية. لقد كان الأول في صفه لمدة ستة أعوام من أصل ثمانية أعوام حضرها في المدرسة الألمانية. وكان فرويد نهما على قراءة الأدب الكلاسيكي القديم عند الرومان والأغريق. وتعلم اللغات اللاتينية واليونانية بالاضافة إلى الفرنسية والإنكليزية (وعلّم نفسه اللغة الاسبانية واللغة الطليانية إلى جانب ذلك)، قرأ فرويد أيضا مسرحيات شكسبير Shakespeare في اللغة الانكليزية. وكقارئ ممتاز حتى في شبابه، أخذ على عاتقه مراقبة الكتب التي تقرؤها شقيقته. في البداية فكر فرويد أن يصبح محاميا وصرح في سيرته الذاتية "بتأثير قوي من صداقته مع زميل له يكبره بقليل في المدرسة الألمانية والذي أصبح فيما بعد سياسيا مشهورا، أردت أنا أيضا أن أدرس القانون وأصبح فعالا اجتماعيا". لقد غيّر رأيه عندما بدأ دراسته الجامعية، ومع ذلك، ادعى فيما بعد أنه أتخذ قرارا بان يصبح عالما عندما استمع إلى محاضر وعالم حيوان مشهور يدعى كارل بروهل Carl Bruhl، يقرأ شعرا مؤثرا عن الطبيعة بعنوان الأم الحنون. ولكي يحقق رغبته في دراسة الطبيعة توجب عليه أن يدرس علم الأحياء كجانب أساسي من جوانب دراسته. في خريف عام 1873 تقدم فرويد بأوراق تسجيله في جامعة فيينا كطالب طب في المرحلة الأولى وهنا غيّر اسمه من سيغيسموند إلى سيغموند. وبذلك يكون قد التزم بدراسة 10 فصول دراسية على الأقل على مدى (5 سنوات) من الدراسات الطبية. كتب فيما بعد "لم اشعر بولع محدد تجاه مكانة وعمل الطبيب في تلك السنوات الأولى ولا في

ادعى سيغيسموند فيما بعد أن أباه "قد سمح لي أن أنمو بعيدا تماما عن كل ما يتعلق باليهودية" لم تكن هذه العبارة صحيحة تماما لأنه وفقا لما جاء في سيرته الذاتية، بدأ سيغيسموند بقراءة العهد القديم عندما كان قد "اكتسب بالكاد مهارة القراءة" إلا أنه لم يتعلم أبدا قراءة العبرية

نشأ سيغيسموند محاطا بالتاريخ التوراتي. وفي الفترة المتأخرة من حياته ملأ كتاباته بمراجع العهد القديم وكثيرا ما كان يكتب عن المعاني والمضامين النفسية للتوراة. ومع ذلك أصبح ملحدا متشددا (وهو الشخص الذي لا يؤمن بأي إله) في مرحلة مبكرة وبقي كذلك طوال حياته

كان فرويد نهما على قراءة الأدب الكلاسيكي القديم عند الرومان والأغريق. وتعلم اللغات اللاتينية واليونانية بالاضافة إلى الفرنسية والإنكليزية (وعلّم نفسه اللغة الاسبانية واللغة الطليانية إلى جانب ذلك)، قرأ فرويد أيضا مسرحيات شكسبير Shakespeare في اللغة الانكليزية

في خريف عام 1873 تقدم فرويد بأوراق تسجيله في جامعة فيينا كطالب طب في المرحلة الأولى وهنا غيّر اسمه من سيغيسموند إلى سيغموند. وبذلك يكون قد التزم بدراسة

السنوات التي اعقبتها. بل شعرت انني مدفوع بدافع التعطش نحو المعرفة". كان فرويد معجبا لنظرية تشارلز دارون Charles Darwin المثيرة للجدل عن الاصطفاء الطبيعي، التي قدمها فرويد إلى العالم في عام 1859. وفي كتاب أصل الإنسان The Decent of man الذي نشر في عام 1871، بيّن دارون أن الإنسان، مثله مثل العضويات الأخرى، خاضع لعلمية التطور، وقد انحدر من ذوات الأربع أرجل الذي له ذيل وشعر. أعتقد كثير من الناس (ولا يزال يعتقد الكثير) أن هذه الفكرة هي إهانة للانسان ومعصية لله. ومع ذلك رأى فرويد وزملاؤه العلماء نظرية دارون رؤية مختلفة. وفي السنة الثالثة من دراسته استقر في مختبر مكرس لعلم الفيزيولوجيا وهو دراسة وظائف العضويات الحية ومكوناتها من مثل الانسجة والأعضاء والخلايا. كان المختبر يدار من قبل إرنست بروك Ernst Bruke وهو أحد علماء فيينا البارزين. عمل فرويد هناك لخمس سنوات تلت، وأثناء مسيرة فرويد في الحياة تبنى كثيرا من الرجال بمثابة آباء روحيين ومرشدين حكماء يدين لهم بأعظم الولاء. كان بروك أحد الأوائل، إذ كان يكبر فرويد بأربعين عاما ويساوي عمره تقريبا عمر يعقوب فرويد. في أثناء عمل فرويد مع بروك نشر عددا من أوراق البحث حول بنية الأجهزة العصبية عند السمك وجراد البحر Cray fish وكذلك جول بنية الأعضاء الجنسية عند حيوان الانقليس eel وقدم طريقة جديدة لفصل هذه الأعضاء عن سائر النسج. بذل فرويد ثمانية اعوام للحصول على الدرجة العلمية وهذا يزيد ثلاثة أعوام على معدل الفترة التي يحتاجها عادة طلاب الطب. وفي عام 1879 انقطع عن متابعة دراساته بسبب سحبه إلى الجيش وقد أمضى عاما في الخدمة العسكرية في وقت السلم يعنى بالجنود المرضى. ومع ذلك أظهر فرويد أنه قادر على العمل بسرعة أثناء وجوده في الجيش. وربما كان فرويد ينتظر بفارغ الصبر الحصول على منحة مساعد باحث في مختبر بروك. ومن سوء الطالع بالنسبة لفرويد أن كلا مساعدي بروك كانا صغيري السن وكان من غير المحتمل أن يتركا عملهما. ويضاف إلى ذلك أن المال قد أصبح بشكل متزايد مهما جدا بالنسبة لفرويد. فقد ألتقى بإمرأة شابة تدعى مارثا بيرنيز Martha Bernays في شهر نيسان من عام 1882 أثناء زيارتها لإحدى شقيقاته. بعد شهرين تمت خطوبة فرويد على بيرنيز. افتقد المخطوبان للمال اللازم لإقامة دار الزوجية، ومع ذلك انتهز بروك الفرصة ليخبر فرويد أن لا يتوقع أبدا أن يستطيع إعالة زوجه من خلال عائدات عمله في البحث. وخلال ستة أسابيع من خطوبته، بدأ فرويد عملا جديدا بصفته متدربا مبتدئا في مشفى فيينا العامة.

10 فصول دراسية على الأقل على مدى (5 سنوات) من الدراسات الطبية.

كان فرويد معجبا لنظرية تشارلز دارون Charles Darwin المثيرة للجدل عن الاصطفاء الطبيعي، التي قدمها فرويد إلى العالم في عام 1859. وفي كتاب أصل الإنسان The Decent of man الذي نشر في عام 1871، بيّن دارون أن الإنسان، مثله مثل العضويات الأخرى، خاضع لعلمية التطور، وقد انحدر من ذوات الأربع أرجل الذي له ذيل وشعر

عمل فرويد جاهدا لاكتساب الخبرة التي يحتاجها في ممارسة الطب العيادي. لقد تدرب فرويد في معظم الأقسام الطبية بما في ذلك أقسام الجراحة والجلدية والعينية بالاضافة إلى الطب النفسي والامراض العصبية. ومع ذلك أراد فرويد أيضا ان يصنع اكتشافا عظيما.

في باكورة العقد الذي يبدأ بعام 1880 لم تكن استخدامات الكوكائين شائعة أو رديئة السمعة كما هي حالها اليوم. فلم يكن العلماء قد بحثوا بعد خصائص هذا العقار، أصبح فرويد مهتما بالكوكائين بعد قراءته تقريرا لأحد اطباء الجيش الألماني يقول فيه أن هذا العقار يزيد من قدرة التحمل عند الجنود

قرر أن يختبر هذا العقار على نفسه وكانت له دوافعه الشخصية. لقد عانى فرويد

2- التجارب ص 35- 59

أوضحت المؤلفة، أنه عندما التقى فرويد بمارثا بيرنيز فإن كل ما رآه فيها هو إمرأة شابة وديعة ونحيلة شاحبة. وكادت مارثا أن تتزوج رجل أعمال عجوز لولا أن أقنعها شقيقها إلي بالإعراض عن ذلك، وموضحا لها ان تحرص على الزواج مِن مَن تحب فقط. وفي الليلة المصيرية من شهر نيسان عام 1882 كانت مارثا عائلة فرويد عندما وصل سيغموند إلى البيت قادما من مكان عمله في الجامعة ومن عادة سيغموند ألا يتوجه مباشرة إلى غرفته للدراسة. وفي ذلك المساء رأى مارثا تتسامر بمرح مع شقيقاته وكان لذلك وقع على قلب هذا الشاب، فقد كتب رسالة بعد اعوام إلى مارثا يخبرها أنه أصبح شخصا خرافيا "منذ ان عملت ان النظرة الاولى للفتاة الصغيرة وهي جالسة عند الطاولة الطويلة المألوفة جدا بالنسبة لي تتحدث بذكاء بينما هي تقشر التفاحة بأصابعها الناعمة، قد أستطاعت أن تحدث لي ارتباكا مديدا جدا". إن تقديم الدعم للزوجة والبيت أمر مكلف ماديا، إذ قبل ستة أشهر من زواجهما وبينما كانا يحاولان تدبير المال اللازم لتأمين أثاث المنزل، كتب فرويد إلى بيرنيز قائلا: "آه يا عزيزتي الصغيرة، ليس عندك إلا علة صغيرة واحدة وهي أنك لم تربح اليانصيب قط". عندما غادر مختبر بروك لم يكن معه سيولة نقدية وكان يتخلف بثلاث سنوات عن أقرانه الذين باشروا مزاولة مهنة الطب فور حصولهم على درجاتهم العلمية. من عام 1882 إلى عام 1885 عمل فرويد جاهدا لاكتساب الخبرة التي يحتاجها في ممارسة الطب العيادي. لقد تدرب فرويد في معظم الأقسام الطبية بما في ذلك أقسام الجراحة والجلدية

والعينية بالاضافة إلى الطب النفسي والامراض العصبية. ومع ذلك أراد فرويد أيضا ان يصنع اكتشافا عظيما. فإن وجد بعض النتائج الجديدة المثيرة فسوف يصبح مشهورا. وإن أصبح مشهورا فسوف تكون عنده عيادة خاصة كبيرة وسوف يحصل على المال الوفير ليقيم حفل زفافه على مارثا بيرنيز دون ادنى تأخير. وفي باكورة العقد الذي يبدأ بعام 1880 لم تكن استخدامات الكوكائين شائعة أو رديئة السمعة كما هي حالها اليوم. فلم يكن العلماء قد بحثوا بعد خصائص هذا العقار، أصبح فرويد مهتما بالكوكائين بعد قراءته تقريرا لأحد اطباء الجيش الألماني يقول فيه أن هذا العقار يزيد من قدرة التحمل عند الجنود. وحال فرويد حال كثير من الباحثين الآخرين في وقتنا الحاضر فقد قرر أن يختبر هذا العقار على نفسه وكانت له دواعيه الشخصية. لقد عانى فرويد لسنوات كثيرة من نوبات الاكتئاب. لقد أصبح متعبا ومؤرق المزاج وغير قادر على العمل. وحينما أخذ جرعات صغيرة من الكوكائين وجد أنها تساعده على العمل وعلى اكتساب طاقة جديدة. لم يعان فرويد ذاته من أية آثار جانبية من هذا العقار، بل واصل العمل لينشر ورقة بحث عنوانها "في موضوع الكوكا on coca" (وهو النبات الذي تم استخراج الكوكائين منه) في شهر تموز من عام 1884 اقترح فرويد الكوكائين كمخدر موضعي وكعلاج للإرهاق وأمراض المعدة والإدمان على المورفين، إلا أنه استمر هو نفسه في تناول العقار أحيانا لعدة سنوات ليعينه على تحمل أطراف النزاع خلال الفترة التي قضاها في باريس ولمكافحة صداع الشقيقة المتكرر وآلام المعدة وليخفف من تورم الأنف. ومن المؤسف ان كان للكوكائين أثرا أسوأ مما كان عليه الحال بالنسبة لمشكلات الأنف والشقيقة عند فرويد.

ففي خريف عام 1885 غادر فرويد فيينا ليزور حبيبته مارثا ومن هناك بدأ رحلته إلى باريس ليدرس تحت إشراف النجم الطبي الفرنسي جين مارتن تشاركو Jean Matin Charcot لمدة خمسة شهور في مشفى سالبتريير. أحدث تشاركو ابتهاجا عند الأمة الفرنسية من خلال استخدامه للتنويم المغناطيسي. قبيل دخول فرويد إلى كلية الطب، لم تكن الامور قد اختلفت كثيرا عن ذي قبل إلا أن الهستيريا لم تعد مرض النساء على وجه التحديد، فقد كان هناك تقارير كثيرة عن توافر ضحايا للمرض من الذكور، ومع ذلك ظل ينظر إليه على نطاق واسع أنه ناجم عن الرغبات الجنسية المحبطة. أما تجربة فرويد مع الهستيريا فيمكن التعرف عليها من خلال طبيبين فرنسيين الأول تشاركو والثاني بول بريكيت Paul Briquet. في عام 1859 اتخذ بريكيت خطوة جريئة ما جرى فعليا دراسة مسحية للأعراض التي تبدو عند 430 مريضا هستيريا مقيمين في مشفى تشاريت في باريس، فأكتشف حقيقتان تناقضان الفرضية الجنسية: الحقيقة الاول هي أن رجلا واحدا يعاني من الهستيريا مقابل 20 إمرأة مريضة بالهستيريا والحقيقة الثانية هي أنه في الوقت الذي نادرا ما تعاني المربيات من الهستيريا، فإن كثيرا من المومسات يعانين منها. اعتقد كل من تشاركو وبريكيت أنه ستظهر عند الأشخاص الهستيريون نوبات اختلاجية حينما يشعرون بانفعال شديد أو حينما يتعرضون للشدة النفسية. إلا أن هذه النوبات تختلف عن النوبات الصرعية. حدد تشاركو زمساعده أربع مراحل للهجمة الهستيرية وجل ذلك معيارا للتمييز بين مرضى الصرع ومرضى الهستيريا والمراحل الأربع هي "أورا Aura" أو التخدير القبلي من الهجمة وثانيها الهجمة ذاتها، عندما يصيح المريض، وثالثها فقد الوعي والمعاناة من التشجنات وهي مرحلة التهريج Clownish عندما يبدي المريض ايحاءات تشبه التعبيرات المسرحية للعواطف الرئيسة ورابعها انحلال النوبة وذلك عندما يبكي المريض أو يضحك كان تشاركو مأخوذا بالغاية الظاهرة التي تقف وراء هذه الهجمات إذ يبدو المرضى وكأنهم يحاولون أن يخبرونا بشيء ما. كتب فرويد فيما بعد عن الهستيريا قائلا "انها تتصرف وكأن بنية الجسم غير موجودة او كأنها لا علم لها عنه". وبعبارة أخرى يتجلى الشلل الهستيري وفقا للطريقة التي يعتقد بها الناس عن آلية عمل الشلل المفترضة وليس كما يتجلى الشر فعليا في الواقع. لقد كانت قفزة قصيرة بالنسبة إلى تشاركو عليه أن يقفزها من البحث في الهستيريا، حيث لا يعلم المريض ذكرا كان أم أنثى انه مريض ، إلى دراسة التنويم المغناطيسي، حيث لا يعي الشخص المنوّم مغناطيسيا بالتعليمات التي تتحكم بسلوكه. وصل فرويد إلى باريس مثل المسكين في قاعة الملك، لقد كان طاليا شابا في الطب

لسنوات كثيرة من نوبات الاكتئاب. لقد أصبح متعبا ومؤرق المزاج وغير قادر على العمل. وحينما أخذ جرعات صغيرة من الكوكائين وجد أنها تساعده على العمل وعلى اكتساب طاقة جديدة.

استمر هو نفسه في تناول العقار أحيانا لعدة سنوات ليعينه على تحمل أطراف النزاع خلال الفترة التي قضاها في باريس ولمكافحة صداع الشقيقة المتكرر وآلام المعدة وليخفف من تورم الأنف

أن الهستيريا لم تعد مرض النساء على وجه التحديد، فقد كان هناك تقارير كثيرة عن توافر ضحايا للمرض من الذكور، ومع ذلك ظل ينظر إليه على نطاق واسع أنه ناجم عن الرغبات الجنسية المحبطة.

حدد تشاركو زمساعده أربع مراحل للهجمة الهستيرية وجل ذلك معيارا للتمييز بين مرضى الصرع ومرضى الهستيريا والمراحل الأربع هي "أورا Aura" أو التخدير القبلي من الهجمة وثانيها الهجمة ذاتها، عندما يصيح المريض، وثالثها فقد الوعي والمعاناة من التشجنات وهي مرحلة التهريج Clownish عندما يبدي المريض ايحاءات تشبه التعبيرات المسرحية للعواطف الرئيسة ورابعها انحلال النوبة وذلك عندما يبكي المريض أو يضحك

كتب فرويد فيما بعد عن

ونمساويا يتكلم الفرنسية بصعوبة ويهوديا في عالم الأميين (الغوييم) Centiles وشابا انفصل كلية عن أسرته وأصدقائه لأول مرة في حياته. تشاركو من ناحية اخرى كان أشهر طبيب في فرنسا على الاطلاق يقع بعد لويس باستور Louis Pasteur مكتشف لقاح داء الكَلَب ومخترع عملية البسترة. كتب فرويد إلى بيرنيز عندما جاء أول مرة "اعتقد أنني أتغير كثيرا، إن تشاركو الذي يعتبر واحدا من أعظم الأطباء ورجلا يتمتع بفطنة فذة قد قضى ببساطة على أفكاري واهدافي ... الذي أعرفه بكل تأكيد هو أنه لا أحد في هذا العالم أستطاع ان يؤثر بي كما فعل هو". لقد أكثر فرويد في تشاركو حرصه الشديد على اكتشاف دليل عضوي لأسباب وآليات المرض. وقبيل وقت مغادرة فرويد لباريس بشكل نهائي في 28 شباط من عام 1886 كان قد أضحى عضوا كاملا في عصبة تشاركو. وكان قد زار منزل تشاركو الممتلئ بإسراف بالتحف عدة مرات وحضر فيه ثلاث حفلات. ومع ذلك لم يستمتع بحضور هذه الحفلات لكنه استمتع بكونه مدعوا إليها. أشار فرويد إلى تشاركو في كتاباته المتأخرة على أنه واحد من أعظم أساتذته ولعل ذلك يعود إلى اعتماد أعمال فرويد إلى حد كبير على افكار تشاركو. في باريس، أجرى فرويد عددا من الملاحظات العلمية تبين له فيها أن الحرمان الجنسي ليس هو السبب الوحيد في حدوث الهستيريا، إذا أن الهستيريا متلازمة يمكن أن تتأثر بفعل الخبرات النفسية عند المرضى. كما يظهر أن هناك صلة بين الهستيريا والتنويم المغناطيسي تقوم على آلية مجهولة، لا يستطيع المريض أن يكشف النقاب عنها وكانت هذه الفكرة الأخيرة حاسمة بالنسبة إلى فرويد في اعماله اللاحقة. بعد العودة إلى فيينا، بدأ فرويد بالتفكير في العمليات اللاشعورية وأثر الخبرة العقلية أو النفسية على الأعراض العضوية وتفاعل الرغبات الجنسية والهستيريا والحياة النفسية. استمر في التفكير بهذه القضايا في الأعوام الخمس القادمة. بعد أن غادر فرويد مختبر تشاركو لم يعد يجر أي عمل تجريبي. لقد كانت تجربة فرويد الشخصية في مختبر تشاركو إيذانا لابتداء حياته المهنية كممارس للعمل العيادي.

3- المحادثات ص 61- 78

انتظر فرويد عودته إلى فيينا بفارغ الصبر في شهر نيسان من عام 1886 لكي يبتعد عن المختبر. وكان قد أمضى اعواما طويلة في دراسة أعضاء حيوان الإنقليس وكلوريد الذهب والكوكائين والنزف الدماغي وادمغة الأطفال. بعد دخوله في عالم تشاركو كتب فرويد أوراق بحث طبية عن الدراسات السريرية فقط سابرا حالات من الأمراض العصبية من مثل الشلل الدماغي والحُبسة الكلامية. وفي الوقت الذي كان فيه فرويد مؤهلا بشكل واضح لأن يمارس تشخيص وعلاج الاضطرابات العصبية عند الأطفال كان يجازف بالإعلان عن افتتاح عيادته الخاصة. إذ كان فرويد غير معروف ويعمل للمرة الأولى خارج المشفى. أصبح مرضاه البالغون الآن معتمدين عليه اعتمادا كليا، إذ لم يعد هناك تجمع للاطباء يراجعون ويناقشون قراراته واحكامه الطبية خارج عيادة الأطفال. لذلك كان فرويد متوترا ومشككا في قدراته. في البداية كان صديقه جوزف بروير Josef Breur وأستاذه القديم هرمان نوثناغل Herman Nothnagl يحيلان مرضاهما إليه. إلا أن فرويد الذي لا يزال يشعر بالندم بسبب تجربته المؤلمة مع الكوكائين، شعر أنه كان معزولا ومعرضا للهجوم. وبعد شهر من محاضرته الأولى التي ألقاها على جمعية الأطباء ألقى محاضرة ثانية مستعرضا حالة من حالات هستيريا الذكور وبعدها لم يعد إلى الجمعية ثانية طوال مدة 25 عاما متبقية من إقامته في فيينا، وفي الوقت الذي كان فيه فرويد يناضل من أجل الحصول على التقدير، كان يستقبل المرضى. بدأ فرويد باستخدام التنويم المغناطيسي في معالجة الهستيريا في الوقت الذي كان ما يزال مفتونا بتشاركو. وكان قد رأى تشاركو يسيطر على المرضى الهستيريين من خلال الايحاء التنويمي لهم وإخبارهم ما الذي يتوجب عليهم أن يفعلوه وهم في حالة الغشية. ومع ذلك لم يستخدم تشاركو التنويم المغناطيسي مطلقا لعلاج الأعراض الهستيرية. كان التنويم المغناطيسي علاجا مثيرا للجدل. لقد أنقذ تشاركو هذه التقانة من الاضمحلال والسمعة الرديئة، لكن الأطباء استمروا في ابداء حذرهم الصريح تجاه هذه الطريقة غير الطبية. لم يقم تشاركو ولا أي باحث آخر الدليل العضوي أو

المستيريا قائلا "انها تتصرف وكأن بنية الجسم غير موجودة او كأنها لا علم لها عنه". وبعبارة أخرى يتجلى الشلل المستيري وفقا للطريقة التي يعتقد بها الناس عن آلية عمل الشلل المفترضة وليس كما يتجلى الشر فعليا في الواقع

وصل فرويد إلى باريس مثل المسكين في قاعة الملك، لقد كان طالبا شابا في الطب ونمساويا يتكلم الفرنسية بصعوبة ويهوديا في عالم الأميين (الغوييم) Centiles وشابا انفصل كلية عن أسرته وأصدقائه لأول مرة في حياته

أشار فرويد إلى تشاركو في كتاباته المتأخرة على أنه واحد من أعظم أساتذته ولعل ذلك يعود إلى اعتماد أعمال فرويد إلى حد كبير على افكار تشاركو

في باريس، أجرى فرويد عددا من الملاحظات العلمية تبين له فيها أن الحرمان الجنسي ليس هو السبب الوحيد في حدوث الهستيريا، إذا أن الهستيريا متلازمة يمكن أن تتأثر بفعل الخبرات النفسية عند المرضى

بعد العودة إلى فيينا، بدأ فرويد بالتفكير في العمليات اللاشعورية وأثر الخبرة العقلية أو النفسية على الأعراض العضوية وتفاعل الرغبات الجنسية والهستيريا والحياة النفسية.

في الوقت الذي كان فيه فرويد يناضل من أجل الحصول

البيولوجي على ما هو الشيء الذي يجعل التنويم المغناطيسي عملية فعالة. أعترض أحد أساتذة فرويد السابقين ويدعى ثيودور مينيرت Theodor Meynert على التنويم المغناطيسي لكونه يجعل المرضى مجرد ح0000000000000000يوانات لا حيلة لها وعلى العلاجات التنويمية لكونها مزيفة أو محض هراء. كانت خشيته هي أن كل ما يفعله التنويم هو فقط جعل حالة المرضى الهستيريين أسوأ مما كانت عليه من قبل وهذا احتمال أثار القلق عند تشاركو أيضا.

4- التفسيرات ص 79- 94

اشتهر فلييس بتقديمه لثلاث نظريات رئيسة هي النظرية الجنسية الثنائية عن الانسان human bisexuality والنظرية الدورية عند الانسان human periodicity والنظرية الأنفية التناسلية the nasal–genital theory. وفقا لما جاء به فلييس يحتوي الانسان على خصائص عضوية ونفسية من كلا الجنسين، منذ بداية الحمل في الرحم. وفي نظرية يفترض أن يكون لكل جنس دورة أو دورية جنسية متميزة ومستقلة عن الجنس الآخر. هذه الدورية الجنسية كما يسميها فلييس لا تتحكم فقط بالوظائف الجنسية من مثل الإباضة والغحاضة وإنما تتحكم أيضا بظواهر تشبه صداع الشقيقة ونزيف الأنف. من سوء الطالع بالنسبة لفرويد ووفقا للكاتب الصحفي الأمريكي في الشئون العلمية مارتن غاردنر Martin Gardner أنه منذ اختيار فلييس للرقمين 23 و 28 اللذين لا يشتركان في أي عامل مشترك واستخدامه الصيغة س س 23 (+ أو –) ع س 28 لتشكيل أي عدد يريده. قام فلييس بالفعل بعمل ذلك فكان يحسب أي شيء ابتداء من مدى الحياة إلى موعد ابتداء فترة الحيض إلى حساب تواريخ الوفاة. وإلى أن بلغ فرويد السنة والخمسين على تاريخ مولده كان يعتقد اعتقادا ترتعد له فرائصه أنه سوف يموت في عمر 51 سنة (23+ 28). لقد واجه جميع اعتقادات فلييس الرئيسة الدحض العلمي لكنه حينما التقى فرويد مع فلييس أول مرة بدت هذه الأفكار مثيرة للاهتمام وعظيمة. وكان فلييس قبل ذلك مهتما بنفس المسائل التي شغلت فرويد عن مثل الحياة والموت والجنس. كتب فرويد إلى فلييس عن مرضاه وعن نظرياته حول الهستيريا والفن وعن نمو أطفاله وأمراضهم، وعن كل شيء كان يشغل عقله وقلبه. بقي فلييس لعدة سنوات الصديق المفضل عند فرويد. استنتج فرويد من ذلك أن جميع المرضى يعلمون مصدر أعراضهم الهستيرية وحتى أولئك الذين يستعصون على التنويم. فالقضية هي انتزاع تلك الذكريات من هؤلاء المرضى من غير تنويم. استخدم فرويد تقانة الضغط لعدة سنوات بعد عودته إلى فيينا. في أواخر العقد الذي يبدأ بعام 1880 بدأ فرويد بتحسس مصدر الهستيريا إن لم يكن آليتها. فبدأ يعتقد أن سبب الهستيريا هو الكبت الجنسي sexual repression. وكان كل من تشاركو وبرويير قد أوحيا إلى فرويد أن كل المشكلات الهستيرية تبدأ في (فراش الزوجية) كما بدأ فرويد ذاته بمشاهدة مظاهر ذات طبيعة جنسية في العلاج. حينما كان فرويد لا يزال يستخدم التنويم، ألقت إمرأة، تم تنويمها بسهولة، بذراعيها حول عنق فرويد لحظة استيقاظها من حالة التنويم. نجا فرويد من هذه الإحاطة المحرجة عندما دخل الخادم، لكنه لم يعد إلى استخدام التنويم مع هذه المريضة. لم يصدق فرويد ولا برويير في البداية أن أمراض أنّا أو.، كان سببها الكبت الجنسي. ومع ذلك كشفت أعراضها عن شعورها بتوافر صلة جنسية بينها وبين طبيبها تماما مثل مريضة فرويد التي أجرى عليها التنويم. وفي حالة أخرى حينما أجرى فرويد فحصا طبيا على إليزابيت فان آر. أغمي عليها عندما ضغط على فخذها. استنادا إلى رواية فرويد فقد "أظهرت تعبيرا معينا، يدل على اللذة أكثر من أن يدل على الألم فقد بكت وتورد وجهها وألقت برأسها إلى الخلف وأغلقت عينيها وانحنى جذعها نحو الخلف" كان فرويد وبرويير يثيران الدوافع الجنسية عند مرضاهما الهستيريين.

نشر فرويد وبرويير ورقة بحث قصيرة بعنوان "حول الآلية النفسية في الظواهر الهستيرية، محادثات تمهيدية"، في عام 1893، وكتاب دراسات عن الهستيريا في عام 1895، لكنهم ناقشوا معظم اكتشافاتهم قبل ذلك بعدة سنوات. في كل من الدراسات والمحادثات كشف فرويد وبرويير النقاب عن نظرية جديدة للهستيريا تقوم على أسس نفسية. يمكن تلخيص نظرية فرويد وبرويير عن تشكل الهستيريا كما يلي: أثناء

على التقدير، كان يستقبل المرضى. بدأ فرويد باستخدام التنويم المغناطيسي في معالجة الهستيريا في الوقت الذي كان ما يزال مفتونا بتشاركو

كان قد رأى تشاركو يسيطر على المرضى الهستيريين من خلال الايحاء التنويمي لهم وإخبارهم ما الذي يتوجب عليهم أن يفعلوه وهم في حالة الغشية. ومع ذلك لم يستخدم تشاركو التنويم المغناطيسي مطلقا لعلاج الأعراض الهستيرية

لم يقم تشاركو ولا أي باحث آخر الدليل العضوي أو البيولوجي على ما هو الشيء الذي يجعل التنويم المغناطيسي عملية فعالة

وفقا لما جاء به فلييس يحتوي الانسان على خصائص عضوية ونفسية من كلا الجنسين، منذ بداية الحمل في الرحم

كتب فرويد إلى فلييس عن مرضاه وعن نظرياته حول الهستيريا والفن وعن نمو أطفاله وأمراضهم، وعن كل شيء كان يشغل عقله وقلبه. بقي فلييس لعدة سنوات الصديق المفضل عند فرويد

استنتج فرويد من ذلك أن جميع المرضى يعلمون مصدر أعراضهم الهستيرية وحتى أولئك الذين يستعصون على التنويم. فالقضية هي انتزاع تلك الذكريات من هؤلاء المرضى من غير تنويم

كان كل من تشاركو وبرويير قد أوحيا إلى فرويد أن كل

فترة الرضى أو الرضح يتكون قسط كبير من الطاقة النفسية، وبطريقة ما يغيب الزمن عن الشعور سواء أكان المريض في حالة تنويم ذاتي أو كان الحدث مؤلما ألما شديدا يفوق قدرة المريض على الاحتفاظ به في الشعور. ومع ذلك تبقى الطاقة المتجمعة بفعل الرضى في الجسم. ومع ابتعاد الرضى عن الشعور تنصب الطاقة على الجسم مسببة الأعراض العضوية. حينما يتم تنويم المريض في العيادة فإن باستطاعته أن يتذكر الرضى وأن يتعاطى مع الأعراض الهستيرية وذلك عن طريق تفريغ شحنات طاقة الرضى على شكل كلمات يقولها في حضرة الطبيب. وضع فرويد ملاحظاته على شكل دراسة حالة. وأثناء قيام فرويد بدراسة الحالة كان يكتب ملخصا زمنيا عن مرض المريض من الأعراض الأولى إلى حالة المريض عند انتهاء المعالجة. والامر المؤسف هو أن فرويد كان يغير كثيرا من الحقائق المتعلقة بالحالات التي كان يغير كثيرا من الحقائق المتعلقة بالحالات التي كان يدرسها من أجل حماية خصوصية مرضاه. وفي الوقت ذاته، كانت دراسات الحالة عند فرويد على قدر كبير من الأهمية. فعلى الرغم من أن دراسة الحالات تعالج حالات فردية كان فرويد حريصا على بيان الكيفية التي أظهر فيها كل مريض جوانبا عامة تدعم نظرياته فإذا أخذنا حالة معينة وجدنا أنها من الممكن أن تتفق مع صنف من أصناف المرض ومع نمط النشاط النفسي. من الواضح أن دراسات الحالة قد منحت من يتابع اعمال فرويد الفرصة لكي يرى تماما كيف استخدم نظرياته في الممارسة العيادية الواقعية. في عام 1896 شعر فرويد بالحاجة إلى مصطلح جديد يصف به أعماله. كما أنه قد توقف عن استخدام التنويم والايحاء، وكان يمارس العلاج مستخدما التداعي الحر على أنه طريقته الرئيسية في المعالجة. ولتثبيت دعائم دراسته للعقل، استخدم فرويد في البداية مصطلح التحليل النفساني "psychological analysis" الذي قدمه الطبيب والباحث الفرنسي بيير جانيت Pierre Janet. إلا أنه قبيل عام 1896 أرتكز علاج فرويد على أعماله هو وليس على أعمال جانيت وقرر فرويد أن يدعو طريقته بالتحليل النفسي psychoanalysis.

5- المغادرات ص 95- 115

في كل عام كانت عائلة فرويد تغادر فيينا في شهر أيار أو تموز ذاهبة إلى المنتجعات على الجبال. تذهب مارثا والأولاد أولا مع شقيقة مارثا مينا Minna التي انضمت إلى أهل البيت في التسعينيات من القرن التاسع عشر بعد وفاة خطيبها بمرض السل. وكان من عادة فرويد أن يستمر في العمل حتى شهر تموز وبعد ذلك ينضم إلى عائلته لقضاء عطلة العيد والبقاء معهم حتى منتصف شهر أيلول. وغالبا ما كان يمضي بضع أسابيع مسافرا بمفرده لمشاهدة الآثار القديمة والمواقع الأثرية. وكان الاولاد يسيحون صعودا ونزولا في هضاب بافاريا يبحثون عن ثمار الفريز (الفراولة). وفي أواخر الصيف كان فرويد يقود صغاره في رحلة صيد نبات الفطر ويعلمهم التعرف على الغاريقين السام والتهام عينات مختارة منها بلا خوف. أحب فرويد أولاده لكنه لم يخطط في بداية زواجه أن ينجب ستة أولاد. كان فرويد ومارثا يأملان أن آخر حمل لها بابنتهما أنّا هو انقطاع مبكر للطمث. وكان فرويد مشغول البال كثيرا عن صحة أولاده وكان يكتب في رسائله إلى فلييس عن كل مرض يمرضونه– يبدو أن كل مرض ينتقل دائما من طفل إلى طفل إلى أن يمر الدور على الجميع. عندما شارفت ماتيلدا على الموت بعد أن خضعت لعملية جراحية في عام 1905، رمى بخفة على الجدار محطما واحدا من أحب التماثيل الرخامية الصغيرة على قلبه. وعلى الرغم من كثرة الأشياء التي عرقلت نشاطه، استمر فرويد في ايجاد الوقت للتامل في اسباب الأمراض النفسية. ومع مرور الوقت أضحى فرويد مقتنعا لقوة أن الكبت الجنسي هو السبب الأصيل للهستيريا. في عام 1894 كتب فرويد "في جميع الحالات التي حللتها كان موضوع الحياة الجنسية هو الذي يقف وراء اضطراب العاطفة عندها". أعلى فرويد شأن نظرية جنسية للهستيريا، بينما نأى بروير عن ذلك. وكان لكل منهما أسبابه الخاصة. كتب فرويد في (دراسات عن الهستيريا) (1875)، "إن الغريزة الجنسية هي من غير شك المصدر الأقوى للزيادة المستمرة في الاستثارة وبالتالي في العصابات". كتب بروير فيما بعد "اعترف أن الانغماس في موضوع الجنسية في النظرية والتطبيق يتعارض مع ذوقي" وفي

المشكلات الهستيرية تبدأ في (فراش الزوجية) كما بدأ فرويد ذاته بمشاهدة مظاهر ذات طبيعة جنسية في العلاج

يمكن تلخيص نظرية فرويد وبروير عن تشكل الهستيريا كما يلي: أثناء فترة الرضى أو الرضح يتكون قسط كبير من الطاقة النفسية، وبطريقة ما يغيب الزمن عن الشعور سواء أكان المريض في حالة تنويم ذاتي أو كان الحدث مؤلما ألما شديدا يفوق قدرة المريض على الاحتفاظ به في الشعور. ومع ذلك تبقى الطاقة المتجمعة بفعل الرضى في الجسم. ومع ابتعاد الرضى عن الشعور تنصب الطاقة على الجسم مسببة الأعراض العضوية

في عام 1896 شعر فرويد بالحاجة إلى مصطلح جديد يصف به أعماله. كما أنه قد توقف عن استخدام التنويم والايحاء، وكان يمارس العلاج مستخدما التداعي الحر على أنه طريقته الرئيسية في المعالجة

لتثبيت دعائم دراسته للعقل، استخدم فرويد في البداية مصطلح التحليل النفساني "psychological analysis" الذي قدمه الطبيب والباحث الفرنسي بيير جانيت Pierre Janet. إلا أنه قبيل عام 1896 أرتكز علاج فرويد على أعماله هو وليس على أعمال جانيت وقرر فرويد أن يدعو طريقته بالتحليل النفسي psychoanalysis

ذات الوقت كان الباحثون في فرنسا ينشرون اعمالا عن الهستيريا مما جعلت أعمال فرويد وبرويز تبدو أقل أصالة. آمن فرويد بنظريته إيمانا جازما وأراد أن يروج لها بكل ما أوتي من إمكانات قبل أن يسرق شخص آخر أفكاره. واعتبر حذر برويز منها خيانة. وقد زاد من سوء العلاقة بين فرويد وبرويز هو أن فرويد مديون بأفضال برويز عليه الذي سمح له بالمشاركة في حالة أنّا أو. وفي طريقة العلاج بالتنفيس الانفعالي معه، ناهيك عن ذكر القروض المالية التي منحها برويز إلى فرويد عند زواجه. كان لفرويد مقاصد عدة من (مشروع علم النفس العلمي) Project for Scientific Psychology مثله مثل كل باحث تقريبا عاش فرويد عصر النهضة ورغب في أن يثبت أن هناك قوانين ثابتة تتحكم بسلوك الإنسان. سعى فرويد إلى أن يظهر أنه بالامكان أختزال هذه القوانين إلى مبادئ فيزيولوجية وكيميائية وميكانيكية التي تتحكم بالمواد الأخرى تماما مثل ما فعل أستاذه الجامعي المعادي للمذهب الحيوي إرنست بروك قبل سنزات. باختصار أراد فرويد أن يبين أن علم النفس ما هو إلى علم متخصص آخر. أمضى فرويد وبرويز وقتا طويلا يشرحان فيه الأساس الذي تقوم عليه الهستيريا والمرض العقلي، لكنهما لم يتوصلا إلى شرح الكيفية التي يعمل فيها العقل السليم. أراد فرويد أيضا أن يسبر مسألة الكبت. ما هي القوانين التي تتحكم في كيفية حماية العقل لذاته من الذكريات المؤلمة؟

عندما صاغ فرويد هذه النظرية المعقدة عن الطاقة العقلية أو النفسية كان يرتكز على معرفته التشريحية أو البيولوجية للدماغ. كما أنه لم يتكلم على الإطلاق عن البنى العضوية وكان يصف العمليات العقلية التي تلقى الدعم من الوظائف البيولوجية للدماغ بطريقة ما غير محددة. إلا أنه كان يعلم أن مفهومه عن العقل ناقص من دون نموذج بيولوجي أو ميكانيكي لعملية إبقاء الأفكار المزعجة في مستوى اللاشعور أو تحت الكيت. إذ أن الحديث عن الطاقات المتنقلة لم يكن كافيا. ألّف فرويد وثيقة مؤلفة من عدة فصول تلخص أفكاره وبعث بها إلى فلييس ليحظى بموافقته عليها وذلك في 8 تشرين الثاني من عام 1895. وعلى الرغم من كتابته الملتهبة ساورت فرويد الشكوك. وفي رسائله إلى فلييس ابتعد فرويد عن ذكر "حمى الكتابة" عنده إلى ذكر هجمات صداع الشقيقة والإرهاق كما صرح بأنه كان مجهدا ومؤرقا ومشوشا. وفي النهاية لم يستطع فرويد أن يشكل نموذجا ميكانيكيا أو بيولوجيا للكبت الذي أراد أن يقيمه لغرض التفسير. وما ذكره عن الطاقات المتنقلة لم يكن كافيا لذلك قرر في النهاية أن يهجر هذا المشروع. أعتقد فرويد بطريقته الفكتورية، أن هذه الأفكار قد فسرت أسباب شيوع الهستيريا إلى حد كبير بين النساء، بينما تشيع الوساوس بين الرجال بشكل أكبر. لقد قبل التصور السائد عن النساء أنهن سلبيات تجاه الجنس ويخفن منه. وفي 21 نيسان من عام 1896 ألقى فرويد محاضرة إلى جمعية فيينا للطب النفسي عن أفكاره المتطورة في أصل الهستيريا. وصرح بأنه كان بمثابة المكتشف الذي يتفحص آثار مدينة قديمة حيث يسبر أغوار الماضي المؤلم عند المريض الهستيري. أظهرت كل حالة من 18 حالة هستيريا كان قد عالجها فرويد، كما ادعى، أن الهستيريا متأصلة في خبرة الاضطهاد الجنسي في الطفولة. قارن فرويد هذا الكشف باكتشاف منابع نهر النيل. قال فرويد مازحا إلى فلييس انه في يوم من الأيام ستكون على جدار منزلك لوحة تقول "في 24 تموز من عام 1895، انكشف النقاب عن سر الأحلام للدكتور سيغموند فرويد" وفي 23 تشرين الأول من عام 1896 توفي والد فرويد. لم يكن هذا الموت غير متوقعا إذ كان عمر يعقوب فرويد 81 عاما وكان يعالج من اضطرابات في القلب في صيف ذلك العام، على الرغم من عداء فرويد القديم تجاه أبيه ذو الشخصية الضعيفة، إذ كان ذلك الأب الذي ينفض الغبار ببساطة عن قبعته حينما ينزعها شخص أُميُّ غير يهودي عن رأسه ويبقيها في الشارع، فقد انهار فرويد لموت أبيه. دفعت هذه الوفاة فرويد إلى الشروع في مشروعين: الأول كان تأليف كتاب تفسير الأحلام الذي تم نشره في عام 1899 والعمل الآخر كان يحتاج إلى تكريس أكبرللجهد والوقت والذي نفذه فرويد على مدى حياته وهو تحليله النفسي لذاته.

أحب فرويد أولاده لكنه لم ينخط في بداية زواجه أن ينجب ستة أولاد. كان فرويد ومارثا يأملان أن آخر حمل لها بابنتهما أنّا هو انقطاع مبكر للطمث. وكان فرويد مشغول البال كثيرا عن صحة أولاده وكان يكتب في رسائله إلى فلييس عن كل مرض يمرضونه- يبدو أن كل مرض ينتقل دائما من طفل إلى طفل إلى أن يمر الدور على الجميع

أعلى فرويد شأن نظرية جنسية للهستيريا، بينما نأى برويز عن ذلك. وكان لكل منهما أسبابه الخاصة. كتب فرويد في (دراسات عن الهستيريا) (1875)، "إن الغريزة الجنسية هي من غير شك المصدر الأقوى للزيادة المستمرة في الاستثارة وبالتالي في العصابات

آمن فرويد بنظريته إيمانا جازما وأراد أن يروج لها بكل ما أوتي من إمكانات قبل أن يسرق شخص آخر أفكاره. واعتبر حذر برويز منها خيانة. وقد زاد من سوء العلاقة بين فرويد وبرويز هو أن فرويد مديون بأفضال برويز عليه الذي سمح له بالمشاركة في حالة أنّا أو. وفي طريقة العلاج بالتنفيس الانفعالي معه، ناهيك عن ذكر القروض المالية التي منحها برويز إلى فرويد عند زواجه

6- الحلول ص 117- 130

كان فرويد سعيدا في كسب الأصدقاء في الوقت الذي كان عمله وحياته الشخصية في حالة اضطراب. وفي عام 1897 بدأ فرويد يساوره الشك في نظرية الإغواء في الهستيريا. وكانت له أسبابه المتعددة للتساؤل عن هذه النظرية. كان أولها حقيقة عدم إظهار علاجه القدرة على شفاء مرضاه تماما. إذ أن غالبية مرضاه غادروا العلاج وهم في منتصف الطريق أو قد تماثلوا للشفاء جزئيا فقط. أولئك الذين استمروا في مقاومة محاولات فرويد لاستخراج ما ادعاه "خبراتهم الطفولية المكبوتة". كذلك تضمنت نظرية الإغواء أن الأب في الأسرة هو الذي جلب على المريض فيما بعد الهستيريا. مع أن أشقاء وشقيقات فرويد ذاته قد بدت عندهم أعراض هستيرية ولم يستطع تصديق فكرة اعتداء أبيه على شقيقاته. بعد التخلي عن نظرية الإغواء. أصبح بمقدور فرويد أن يستمع إلى تداعيات مرضاه الحرة وإلى قصصهم المطولة لا على انها حقائق مطلقة وغنما رمز يرمز إلى رسالة عميقة أخرى. ولكن ماهي هذه الرسالة؟ وما هو الأساس الحقيقي للمرض النفسي؟ قرر فرويد أن يبحث عن أسرار الحياة النفسية بذاته. كان عنده سبب وجيه لذلك فمنذ وفاة والده كانت تعاوده حالة الاكتئاب بين الفينة والأخرى، كما عانى من اعراض عصابية متنوعة خلال معظم حياته وهو في سن الرشد، فقد عانى قلبه من التسارع ومعدته من الألم ورأسه من صداع الشقيقة. لم يكن فرويد متفائلا فقد بدا ذلك جليا في رسالته إلى فلييس في شهر تشرين الثاني منذ عام 1897 حيث قال "أستطيع أن أحلل نفسي فقط إذا حصلت على معلومات موضوعية... إن تحليل المرء لنفسه تحليلا نفسيا حقيقيا أمر مستحيل، زد على ذلك عدم وجود مرض نفسي". وللبحث عن مفاتيح المعرفة الموضوعية في أي طريق كانت، استخدم فرويد مصادر كثيرة لهذه الغاية من مثل الأخطاء الإعلانية التي كان يرتكبها وهو يكتب أو الأخطاء اللفظية التي كان يقع بها وهو يتحدث أو الأحداث التي ينسى فيها أسماء الأشخاص أو الاقتباسات من الكتب. اشتهرت هذه الأخطاء بما عرف باسم "الهفوات أو الزلات الفرويدية". تظهر هذه الأخطاء عندما تهيمن الرغبات أو النوايا اللاشعورية على الرغبات أو النوايا الشعورية. حلل فرويد أحلامه أيضا كما أخذ يتصيد في ذكريات طفولته. حالما باشر فرويد في معاينة ذكرياته، عادت إليه مجتمعة. وفجأة تذكر فرويد مربيته الكاثولوكية وخصامه مع أبناء إخوته وأخواته والنظرة الخاطفة لفرج أمه أثناء رحلة في القطار عندما كان في سن الرابعة من العمر. لقد كانت ذكريات فرويد عن المربية التي دربته على استخدام دورة المياه لها أهمية خاصة. استطاع فرويد أن يثبت كثيرا من الخبرات التي تذكرها مع مربيته عن طريق الاستفسار من أمه. لم يكن فرويد متفائلا فقد بدا ذلك جليا في رسالته إلى فلييس في شهر تشرين الثاني منذ عام 1897 حيث قال "أستطيع أن أحلل نفسي فقط إذا حصلت على معلومات موضوعية... إن تحليل المرء لنفسه تحليلا نفسيا حقيقيا أمر مستحيل، زد على ذلك عدم وجود مرض نفسي". وللبحث عن مفاتيح المعرفة الموضوعية في أي طريق كانت. وجد فرويد دليلا على الدوافع الجنسية لدى الأطفال الرضع في حياته هو. فقد أحب أمه وشعر بالرغبة الجنسية تجاهها وهو طفل. وتمنى أن يموت أباه وإخوته وكل الأنداد الآخرين حتى يحظى بأمه لوحده. أعطى فرويد فيما بعد عنوان لهذه المجموعة من الصراعات هو عقدة أوديب Oedipus complex. استنادا إلى الأسطورة الإغريقية يتم إبعاد أوديب عن ذويه عند ولادته لينشأ في كنف أناس غرباء، وبعد ذلك يقتل أوديب أباه عن غير قصد ويتزوج أمه. فيما بعد أضحت عقدة الجنسية عند الأطفال الرضع وأسطورة الأسرة الخاصة بعقدة أوديب تلعبان دورا مركزيا في نظريات فرويد اللاحقة عن النمو عند الأطفال. بينما كان فرويد يبحث في ذاكرته، كان يحلم أيضا، وغالبا ما كان يتذكر أحلامه وكان قد احتفظ بسجل خاص بأحلامه لسنوات خلت. وفي "حلم حقن إيرما" بدأ فرويد في النظر إلى الأحلام على انها تلبية وتحقق للرغبات. غير أنه تأكد أيضا أن كثيرا من الأحلام كانت كوابي واحلاما غير سعيدة بشكل صارخ. وبعد طول تفكير، توصل فرويد إلى أن الأحلام ليست دائما تعابير عن أماني أو رغبات شعورية، إذ لابد أن يكون هناك مستوى ثانٍ من الحافزية، وربما أنواعا مختلفة جدا عن تلك الرغبات التي يسمح الناس لأنفسهم أن يفكروا بها. تحتوي جميع الأحلام على بعض العناصر المشتركة، كما جاء في كتابات فرويد، يبدأ كل حلم بذاكرة من ذكريات الطفولة، وربما من نوع عقدة اوديب أو خبرة

أمضى فرويد وبروير وقتا طويلا يشرحان فيه الأساس الذي تقوم عليه الهستيريا والمرض العقلي، لكنهما لم يتوصلا إلى شرح الكيفية التي يعمل فيها العقل السليم

عندما صاغ فرويد هذه النظرية المعقدة عن الطاقة العقلية أو النفسية كان يرتكز على معرفته التشريحية أو البيولوجية للدماغ. كما أنه لم يتكلم على الإطلاق عن البنى العضوية وكان يصف العمليات العقلية التي تلقى الدعم من الوظائف البيولوجية للدماغ بطريقة ما غير محددة

أظهرت كل حالة من 18 حالة هستيريا كان قد عالجها فرويد، كما ادعى، أن الهستيريا متأصلة في خبرة الاضطهاد الجنسي في الطفولة

انهار فرويد لموت أبيه. دفعت هذه الوفاة فرويد إلى الشروع في مشروعين: الأول كان تأليف كتاب تفسير الأحلام الذي تم نشره في عام 1899 والعمل الآخر كان يحتاج إلى تكريس أكبرللجهد والوقت والذي نفذه فرويد على مدى حياته وهو تحليله النفسي لذاته

منذ وفاة والده كانت تعاوده حالة الاكتئاب بين الفينة والأخرى، كما عانى من اعراض عصابية متنوعة خلال معظم حياته

ما أخرى مشحونة عاطفيا. ومع مرور اليوم السابق سيكون الحالم قد حاز على بعض الخبرات ذات الصلة بتلك الذكريات. تشكل هذه الاحداث ما يعرف باسم "أثر النهار" day reside في الحلم. وباجتماع ذكريات الطفولة مع أثر النهار يتشكل المحتوى الأساسي للحلم. لو كانت الأحلام مجرد أجزاء مجتمعة من الذكريات ومن غداء البارحة لكان تفسير الحلم أمرا سهلا نوعا ما. إلا أن الذي يحدث على الأغلب هو تعرض رغبات وذكريات الطفولة للكتب والتخفي من الشعور.

استمتع فرويد باشتغاله في تفسير الأحلام. إذ اشتمل تفسير الأحلام على حل الألغاز والتوريات والدعابات يستثني من ذلك حالة أحلام الأطفال. إذ لم يشكل الأطفال بعد آليات مراقبة داخلية، كما أن أحلامهم بريئة وهي تحقق للرغبة لم يتخلله دهاء الكبار. ومع انتهاء فرويد من كتابة تفسير الأحلام كان قد حلل شخصيته منذ ثلاثة أعوام تقريبا. لم يمنع هذا التمحيص الدقيق بالذات فرويد من ان يكون عصبيا ومزاجيا ومكتئبا حينما صدرت أول طبعة للكتاب. أعرب فرويد عن تذمره من تعرض الكتاب للتجاهل ولسوء الفهم. كان قلقا على أموره المالية ومتحسرا على حقيقة أنه بلغ من العمر 44 عاما ولم يذع صيته بعد. شعر فرويد بالتعاسة إلا أنه كان يمر أيضا في حالة انتقالية عميقة فقد كان على وشك افتقاد أبيه الثاني. لم يعد فرويد راغبا في مساعدة نفسه. ورأى في المنام نفسه عالما اشتهر بنظرياته الفذة وليس سبب حصوله على الترفيع الجامعي. إلا أن فرويد كا يهوديا في الوقت الذي كان فيه محافظ فيينا كارل لوجر Karl Lueger وسياسيون نمساويون بارزون آخرون يناصرون حملة الكراهية ضد اليهود. كما أن نظريات فرويد عن الجنسية الهستيريا، وإعجابه القديم بالكوكائين وحنى مناصرته لتشاركو قد جلبت عليه أعداء. وحينما نصحه أحد أساتذته القدامى لأن يجد من يقدم له الدعم الشخصي بدأ فرويد أخيرا في البحث عن معين.

7- التفاعلات ص 131- 151

توضح المؤلفة، أنه عندما نشر فرويد كتابه ثلاث مقالات في نظرية الجنسية في عام 1905، لم يعد مترددا في نظرياته، أو في أهميته، أو في الترويج لنفسه وكان قد نشر من قبل كتاب تفسير الأحلام كما حصل على مكانة الأستاذية في الجامعي. ساعدته هذه الانجازات على تجاوز المحنة اللاحقة ألا وهي انهيار العلاقة بينه وبين ويلهالم فلييس. حيث تغيرت العلاقة بين فرويد وفلييس منذ عام 1897 عندما شرع فرويد في إنشاء نظرية نفسية للأحلام بينما بقي فلييس عالم أحياء محافظ. احتدم الخلاف بينهما عندما تقابلا في صيف عام 1900. إذ اقترح فلييس أن هناك عمليات دورية- أحداث بيولوجية تجري على شكل دورات مثل دورة الحيض- تؤثر على العقل وعلى وجه التحديد، قال أنه لابد لهذه الدورية الحيوية من أن تؤثر على مسيرة المرض النفسي بما في ذلك الأمراض التي كان يعالجها فرويد بواسطة علاجه التحليلي النفسي. احتج فرويد، المشدوه والمنزعج، على فلييس أنه حاول تقويض أهمية كل أعماله. إذا ما فائدة العلاج إذا كان المرض خاضع لساعة داخلية؟. في عام 1902 اقترح طبيب شاب يدعى ويلهالم ستيكل Wilhelm Stekel على فرويد أن يلتقي أسبوعيا مع ممارسين آخرين من المهتمين بالتحليل النفسي. هذه الجماعة التي اسمها جمعية الأربعاء النفسية، قدمت أخيرا إلى فرويد متحمسة لسماع أفكاره. في كل أسبوع كانت الجماعة تستمع إلى ورقة بحث أعدها أحد الأعضاء، وتأكل الحلويات، وتدخن السجائر وتتناقش في الموضوع المعروض أمام أعضائها. أما فرويد، الذي يعد الأب المؤسس للتحليل النفسي، فقد كانت له دائما الكلمة الأخيرة. وفي الطبعة الأولى من كتاب تفسير الأحلام علّق فرويد قائلا: "إننا نقدر تقديرا عاليا السعادة عند الأطفال لأنها لا تزال بريئة من الرغبات الجنسية". وبعد خمس سنوات وفي كتابه ثلاث مقالات عن نظرية الجنسية عدّل فرويد ذلك التصريح مدعيا بأنه يصح فقط حينما يكون الأطفال في مرحلة الكمون. ذكر فرويد ثلاثة مراحل للنمو الجنسي: مرحلة النشاط الجنسي من الولادة وحتى سن الخامسة، ومرحلة الكمون من سن الخامسة وحتى البلوغ، وفيها ينسى الأطفال ويتجاهلون المشاعر الجنسية ومرحلة البلوغ الجنسي. أعتقد فرويد أن الأطفال يمرون من خلال

وهو في سن الرشد، فقد عانى قلبه من التسارع ومعدته من الألم ورأسه من صداع الشقيقة

إن تحليل المرء لنفسه تحليلا نفسيا حقيقيا أمر مستحيل، زد على ذلك عدم وجود مرض نفسي".

وجد فرويد دليلا على الدوافع الجنسية لدى الأطفال الرضع في حياته هو. فقد أحب أمه وشعر بالرغبة الجنسية تجاهها وهو طفل. وتمنى أن يموت أباه وإخوته وكل الأنداد الآخرين حتى يحظى بأمه لوحده. أعطى فرويد فيما بعد عنوان لهذه المجموعة من الصراعات هو عقدة أوديب Oedipus complex

بعد طول تفكير، توصل فرويد إلى أن الأحلام ليست دائما تعابير عن أماني أو رغبات شعورية، إذ لابد أن يكون هناك مستوى ثانٍ من الحافزية، وربما أنواعا مختلفة جدا عن تلك الرغبات التي يسمح الناس لأنفسهم أن يفكروا بها

مع انتهاء فرويد من كتابة تفسير الأحلام كان قد حلل شخصيته منذ ثلاثة أعوام تقريبا. لم يمنع هذا التمحيص الدقيق بالذات فرويد من ان يكون عصبيا ومزاجيا ومكتئبا حينما صدرت أول طبعة للكتاب

كان قلقا على أموره المالية ومتحسرا على حقيقة أنه بلغ من

مراحل متعددة حيث تتركز المشاعر الجنسية عندهم على أجزاء معينة من الجسم. أما المرحلة الأولى فهي مرحلة التلذذ الذاتي auto erotic فالأطفال يحصلون على الشعور بالرضى بشكل عام عندما يمارسون المص بداية. ومع ذلك يمكن لأي جزء من اجزاء الجسم أن يحدث لذة جنسية، هذه هي المرحلة الشفوية. وخلال المرحلة التالية التي تحدث عادة في حوالي نفس الوقت الذي يتعلم فيه الطفل على استخدام المرحاض، إذ يجعل الأطفال على المتعة الجنسية من منطقة الإست (الشرج) ومن الاحتفاظ بالبراز داخل الأمعاء. وأخيرا وبعد المرحلة الإستية ينتقل مصدر المتعة الرئيسي عند الأطفال إلى الأعضاء التناسلية حيث تبقى كذلك مدى حياتهم. وخلال مرحلة الكومن، يحصل عند الأطفال (فقد للذاكرة) المتعلقة بنموهم الجنسي السابق. وبدلا من أن يكتشفوا أجسامهم يصعد هؤلاء الأطفال الذين هم في عمر المدرسة أو يعيدوا توجيه طاقتهم الجنسية إلى نشاطات أخرى من مثل النشاطات المدرسية والترفيهية.

على الرغم من تصريح فرويد في كتابه ثلاث مقالات أن الجماع الجنسي الطبيعي مع الشريك المحبوب هو أقصى غاية للجنس، إلا أنه لم يخطر على باله أن الزواج أو العلاقة القائمة مع شريك واحد ضروريان للصحة النفسية. إذ كان يفضل الزواج الجنسي الحر للشبان والشابات وكان يشعر بالإحباط لعدم وجود وسائل منع حمل فعالة. ومع ذلك في منزل فرويد حيث توقف التحليل النفسي عند عتبة الباب، كما قال فرويد، فقد كان لنظريته الأثر القليل على حياته المنزلية. فقد وبخ ابنه على ممارسته الاستمناء وأغلب الظن أنه بقي مخلصا لزوجته، لكنه لاحظ ظهور نفس الأشكال الطفيفة للهستيريا والعصاب عند أسرته مثلهم مثل اي شخص آخر. ذكر يونغ أنه لا يعتقد أن الرضى الجنسي الطفولي هو السبب الوحيد للمرض النفسي وهذا تعارض مباشر مع موقف فرويد. ومع ذلك كان يونغ محط إعجاب فرويد. فقد كانت تنتظر يونغ حياة مهنية ذاخرة، إذ كان أكثر ذكاء من معظم أتباع فرويد في فيينا وربما الاهم من ذلك هو انه لم يكن نمساويا ولم يكن يهوديا. ومع ذلك شعر فرويد أن يونغ ويونغ وحده يمكنه أن يسير بحركة التحليل النفسي قدما. فقد أراد فرويد بكل ما أوتي من قوة أن ينشر أفكار التحليل النفسي خارج نطاق عصبته التي تضم في غالبيتها يهود فيينا. وإلا شعر، أن كل اعماله سوف تذهب سدى ويتم تجاهلها ونسيانها عندما تصطدم بالنزعة ضد السامية. ومن يستطيع أن ينشر أفكار فرويد على أفضل وجه غير يونغ صاحب القامة الطويلة والعينين الزرقاوتين ابن القس المسيحي؟ أضحى يونغ وليا لعهد فرويد، كما أصبح بديلا جزئيا عن فلييس يحكم بصلابة فرويد وبرقة يونغ العاطفية.

العمر 44 عاما ولم يذع صيته بعد. شعر فرويد بالتعاسة إلا أنه كان يمر أيضا في حالة انتقالية عميقة فقد كان على وشك افتقاد أبيه الثاني. لم يعد فرويد راغبا في مساعدة نفسه

اقترح فلييس أن هناك عمليات دورية- أحداث بيولوجية تجري على شكل دورات مثل دورة الحيض- تؤثر على العقل وعلى وجه التحديد، قال أنه لابد لهذه الدورية الحيوية من أن تؤثر على مسيرة المرض النفسي بما في ذلك الأمراض التي كان يعالجها فرويد بواسطة علاجه التحليلي النفسي

احتج فرويد، المشدوه والمنزعج، على فلييس أنه حاول تقويض أهمية كل أعماله. إذا ما فائدة العلاج إذا كان المرض خاضع لساعة داخلية

على الرغم من تصريح فرويد في كتابه ثلاث مقالات أن الجماع الجنسي الطبيعي مع الشريك المحبوب هو أقصى غاية للجنس، إلا أنه لم يخطر على باله أن الزواج أو العلاقة القائمة مع شريك واحد ضروريان للصحة النفسية

ذكر يونغ أنه لا يعتقد أن الرضى الجنسي الطفولي هو السبب الوحيد للمرض النفسي وهذا تعارض مباشر مع موقف فرويد

8- الواقع ص 153- 177

مع حلول عام 1909 أصبح هناك طلب على أعمال فرويد. ففي العام السابق كان فرويد قد نشر مقالات عن الجنسية الثنائية والهستيريا والنمو الجنسي عند الأطفال وأثر الأخلاقيات الجنسية عند الطبقة الاجتماعية المتوسطة على المرض النفسي. أخذ صيت فرويد يذيع حتى وصل إلى الولايات المتحدة. ففي عام 1909 وجه جي ستانلي هول، رئيسي جامعة كلارك في ورستر بولاية ماساشوستس دعوة إلى فرويد لإلقاء سلسلة محاضرات هناك. لقد سمع عن فرويد من باحث زائر كان يعمل في نفس المشفى السويسري الذي عمل به يونغ. في البداية، لم يكن فرويد سعيدا جدا بالذهاب إلى هناك. إذ اعتبر أن الأمريكيين محتشمون تجاه الموضوع الجنسي وأيديهم مغلولة إلى أعناقهم خشية الإنفاق ومع ذلك عندما رفع هول قيمة تعويضات سفر فرويد قرر فرويد القيام بهذه الرحلة. وفي طريقه إلى الولايات المتحدة، تناول فرويد ويونغ وفيرينتشي وجبة الغداء معا ، تنبه فرويد إلى ذلك معتبرا حديث يونغ الوسواسي من جانب واحد حول العظام الميتة والقديمة دليلا على تمني يونغ الموت له، فشعر فرويد بالإنهاك، إلا أن بقية الرحلة سارت على ما يرام. اشتكى فرويد من ان الطعام الأمريكي يسبب له مغصا في معدته، لكنه استطاع أن يجتمع مع وليام جيمس William James وجيمس بوتنام James Putnam فالأول أستاذ علم النفس والثاني أستاذ علم الأعصاب في جامعة هارفارد. كان جيمس، وهو مؤلف كتاب أنواع الخبرة الدينية، قد

أزعجه رفض فرويد الصريح للدين. أما بوتنام، من ناحية أخرى، الذي عمل في مشفى ماساشوستس العام معالجا الأشخاص الهستيريين فقد أقنعه لقاءه وحديثه مع فرويد ان التحليل النفسي هو العلاج الأفضل للمرضى الهستيريين. وكان ذلك بداية لهيمنة طريقة فرويد على الطب النفسي الأمريكي. إن الشخص الذي أخذ يضيف دوافع جديدة إلى النفس هو في نظر فرويد يحاول ببساطة أن يتظاهر بأن الصراعات الجنسية الطفولية ليست هامة. كما أن دافع العدوان عند أدلر لم يكن مجرد خطأ في النظرية في رأي فرويد وإنما كا إنكارا لمعظم أفكاره الهامة. المشكلة في أفكار أدلر، كما ظن فرويد، هو أنها لم تكن نفسية في حقيقتها. وبدلا من أن يستخدم أدلر مصطلحات فرويد قدم شرحا عن العُصابات في مصطلحات ثنائية الجنس.

بالطبع قدم فرويد أيضا شرحا عن المرض النفسي في مصطلحات جنسية لكنه ذكرها ضمن مصطلحات الليبيدو (الطاقة الجنسية) التي ليس لها تعريفا بيولوجيا. بينما يرى أدلر إمكان شرح كل ظواهر علم النفس بواسطة البيولوجيا (علم الأحياء). فالعقل كان أسيرا واللاشعور كان خارجا عن الموضوع والليبيدو كان لاعبا قليل الأهمية. انتشرت فكرة يونغ، التي خرجت من حجرة استشارة فرويد في فيينا، إلى أبعد مما كان يتوقع. يعبر الليبيدو، الذي ليس من الضروري أن يكون جنسيا، عن نفسه فقط من خلال الرموز كما يدعي يونغ. هذه الرموز عالمية وموجودة في جميع انحاء العالم ويمكن اكتشافها عن طريق مقارنة الأساطير بين الحضارات المختلفة. في عام 1913، كان يونغ ما يزال رئيسا لجمعية التحليل النفسي الدولية، وكانت لديه بسبب موقعه هذا المكانة المرموقة والنفوذ ومهما حصل من شجار بينه وبين فرويد ظل غير متحمس للتخلي عن مركزه ولم يستقيل حتى شهر نيسان عام 1914. كانت أكثر مقالات فرويد فائدة للمحللين العاديين هي "عند بدء العلاج". عوضا عن مجرد تحذير وتأنيب أتباعه باشر فرويد يذكر الكيفية التي ينبغي أن يمارس فيها التحليل النفسي. ينبغي اللجوء إلى التحليل النفسي فقط، كما يقول فرويد، عندما يكون المريض ذكيا ويكون سلوكه متزنا وفقط بعد انقضاء فترة تجريبية مدتها أسبوع أو نحوه. ويجب على المحلل أن يقلل من كلامه كثيرا أثناء الأسبوع الأول حتى لا يبدو وكأنه قد قطع عملية المعالجة إذا لم يقبل المريض. حالما يتفق المحلل والمريض على الدخول في عملية التحليل النفسي، كما يقول فرويد، يتوجب على المحلل أن يتوقع من المريض أن يكون مترددا في مناقشة موضوعين: هما الجنس والمال، إن أي تخفيض في رسوم المحلل، كما يحذر فرويد، يعزز المقاومة عند المريض. ويمكن تعرض دخل المحلل للخطر أيضا. حينما نشر فرويد مقالة (عند بدء العلاج) في عام 1910، كان يرى معظم مرضاه ستة مرات في الأسبوع. فقد كان يعيل أسرته من الرسوم التي كان يتقاضاها من ثمانية أشخاص فقط.

أكد فرويد على أن معظم ما يفعله المحلل هو في الاستجابة إلى التداعيات الحرة عند المريض. فالتفسير وإخبار المريض بحقيقة ما يقوله هو العلاج للتحليل النفسي. وعن طريق تحليل مقاومة المريض يكشف المحلل التقاب عن المساومات المؤلمة التي أجراها المريض من أجل إخفاء رغباته المكبوتة. لقد تغير تفكير فرويد بشكل جذري، فبدلا من أن يعالج المحلل مرضاه عن طريق استخراج ذكرياتهم أصبح فجأة يعالجهم عن طريق الحب. ومنذ حالى دورا بدأ فرويد يعطي انتباهه إلى الصراعات التي يبديها المرضى أثناء عملية التحليل، فقد كتب في عام 1914، "لا يتذكر المريض أي شيء كان قد نسيه أو كبته لكنه يظهر ردود أفعال عليه فهو يعيد إظهار الشيء المنسي لا على شكل تذكر له ولكن على شكل فعل يكرره من دون أن يعلم، بالطبع، أنه يكرره". يعيد المريض إحياء الموقف الذي لم يلبي فيه حاجاته مرارا وتكرارا لأنه لم يتم إرضاء رغباته الغريزية. وعندما يكرر المريض الموقف مع المحلل فقد ضمن مشاهدا يتعاطف معه. إلا أن المحلل يمثل شكلا من أشكال السلطة. وبتحليل الغنقال يستطيع المحلل أن يحطم وسواس المريض المتعلق بأبويه وبرموز السلطة. يستطيع المريض عندئذ أن يصبح حرا وبإمكانه أن ينمو. بشكل عام إذا ارتبط ليبيدو الشخص أو طاقته الجنسية بشخص آخر كانت النتيجة هي النرجسية. عبّر فرويد عن النرجسية بحركة الطاقة الجنسية. إذ هناك يتوجه ليبيدو الأنا عن الذات وكذلك

أراد فرويد بكل ما أوتي من قوة أن ينشر أفكار التحليل النفسي خارج نطاق عصبته التي تضم في غالبيتها يهود فيينا. وإلا شعر، أن كل اعماله سوف تذهب سدى ويتم تجاهلها ونسيانها عندما تصطدم بالنزعة ضد السامية. ومن يستطيع أن ينشر أفكار فرويد على أفضل وجه غير يونغ صاحب القامة الطويلة والعينين الزرقاوتين ابن القس المسيحي؟

كان جيمس، وهو مؤلف كتاب أنواع الخبرة الدينية، قد أزعجه رفض فرويد الصريح للدين

أن دافع العدوان عند أدلر لم يكن مجرد خطأ في النظرية في رأي فرويد وإنما كا إنكارا لمعظم أفكاره الهامة. المشكلة في أفكار أدلر، كما ظن فرويد، هو أنها لم تكن نفسية في حقيقتها

بالطبع قدم فرويد أيضا شرحا عن المرض النفسي في مصطلحات جنسية لكنه ذكرها ضمن مصطلحات الليبيدو (الطاقة الجنسية) التي ليس لها تعريفا بيولوجيا

يرى أدلر إمكان شرح كل ظواهر علم النفس بواسطة البيولوجيا (علم الأحياء). فالعقل كان أسيرا واللاشعور كان خارجا عن الموضوع والليبيدو كان لاعبا قليل الأهمية

ليبيدو الموضوع الذي يبحث عن لذة جنسية خارجية. سبّب هذا الشرح المتاعب لفرويد، فقد ميّز من قبل بين مبدأ الواقع ومبدأ اللذة وبين دوافع الليبيدو ودوافع الأنا. في البداية، ادعى فرويد أنه بكل بساطة يضيف أمثلة جديدة على على الدوافع الموجودة. والآن أصبح هناك دوافع ليبيدية ودوافع غير ليبيدية وهي ليبيدو الأنا ego–libido وليبيدو الاخر أو الموضوع object–libido إضافة إلى الأنا القديم المحض. وكان قد شرع في محاولة لتعريف الانا بطريقة جعلت هذا المفهوم في منأى عن تعديلات أدلر المثيرة للقلق وعن مفهومه (إرادة النفوذ والقوة) وفي منأى عن ليبيدو ويونغ اللاجنسي. وفجأة أصبح نموذج فرويد البسيط للأنا والليبيدو ذو الجزئين مختلطا ومشوشا. اختط كتاب (حول النرجسية علامة على بداية نظرية نفسية جديدة. يعرف فرويد في كتابه الجديد الدوافع على أنها "الحاجة إلى العمل التي تلح على العقل بحكم صلتها بالجسد". تتغير الدوافع مع مرور الزمن إذ يبدأ الحب في النرجسية ثم ينتقل إلى أشخاص آخرين عن طريق الغرائز الجنسية. أما الكراهية فهي نتاج مرحلة نمائية تسبق مرحلة الحب الناضج، إلا أنه تبقى نتيجة لتوجيه الطاقة الجنسية إلى شخص آخر. تناقضت هذه الفكرة مع نظرية الليبيدو وكانت مؤشرا إلى مزيد من التغيرات النظرية القادمة. ومع حلول عام 1920 نشر المتخصصون في علم أصول الأقوام البشرية أبحاثا لاحظت أن معظم القبائل التي تعبد الطواطم لا تأكلها أثناء وجبات الأضحية، وبذلك تكون قد دحضت ما اكد عليه فرويد. فقد تجاهل فرويد أيضا دليلا على أن كثيرا من الناس تراودهم أخيلة عن أكل أمهاتهم. كما ظهرت عبر التاريخ صور تعرض الأرض على صورة الأم التي ترضع البشرية من لبن ثدييها. كذلك تجاهل فرويد في كثير من أعمالهم دور المرأة في المجتمع. إن المرأة السلبية التي ليس لها حضور في كتابة الطوطم والتابو هي ببساطة ضحية لتجاهله لها أكثر من أي شيء آخر. كانت كتابة فرويد للطوطم في جزء منها ردا على انبهار يونغ بالدين والإيمان الروحي. إذ لاحظ يونغ أن المرضى الذين يعانون من الفصام لديهم في الغالب أخية تشبه أساطير قبائل ما قبل المرحلة الصناعية. وكما ذكر فرويد "في عام 1912 أدت إشارة يونغ القوية إلى التشابه بعيد المدى بين ما يصدر عن العقل من أخيلة والشعوب البدائية إلى جعلي أوجه انتباهي إلى هذا الموضوع". كان فرويد يعلم أن ما جاء في ورقة بحثه هذه سيضايق يونغ ومع ذلك نشرها على أية حال. وكما كتب إلى زميله كارل إبراهام Karl Abraham، "يونغ مجنون، وليس عندي رغبة في الانفصال عنه بل يجب أن أدعه يحطم نفسه بنفسه أولا. ولعل ما كتبته في الطواطم سوف يعجل في النكث بالعهد مع إرادتي". وطبعا كان لدى فرويد أمورا أخرى شغلت باله ففي عام 1914 دخلت هنغاريا النمساوية الحرب العالمية الأولى.

يجب على المحلل أن يقلل من كلامه كثيرا أثناء الأسبوع الأول حتى لا يبدو وكأنه قد قطع عملية المعالجة إذا لم يقبل المريض

أكد فرويد على أن معظم ما يفعله المحلل هو في الاستجابة إلى التداعيات الحرة عند المريض. فالتفسير وإخبار المريض بحقيقة ما يقوله هو العلاج للتحليل النفسي

عن طريق تحليل مقاومة المريض يكشف المحلل التقارب عن المساومات المؤلمة التي أجراها المريض من أجل إخفاء رغباته المكبوتة

يعرف فرويد في كتابه الجديد الدوافع على أنها "الحاجة إلى العمل التي تلح على العقل بحكم صلتها بالجسد

تجاهل فرويد في كثير من أعمالهم دور المرأة في المجتمع. إن المرأة السلبية التي ليس لها حضور في كتابة الطوطم والتابو هي ببساطة ضحية لتجاهله لها أكثر من أي شيء آخر

كانت كتابة فرويد للطوطم في جزء منها ردا على انبهار يونغ بالدين والإيمان الروحي

على الرغم من معاناة فرويد من الاتجاه المعادي للسامية، فدق

9- المعاناة ص 179- 198

على الرغم من معاناة فرويد من الاتجاه المعادي للسامية، فدق كان مخلصا لانتمائه الوطني المهنغاري النمساوي عند ابتداء الحرب، وكان قد أزعجه عندما أيد إرنست جونز Ernest Jones، المحلل النفسي الإنكليزي الذي كتب فيما بعد سيرة فرويد، السياسة البريطانية. (أثناء الحرب، كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا معادية لألمانيا والاتحاد الهنغاري النمساوي) ومع مرور الزمن أصبح فرويد متعبا من الحرب إذ خلال سنوات الحرب من عام 1914 إلى عام 1918 كانت مجلات التحليل النفسي التي ساعد فرويد على تأسيسها إما متوقفة عن الصدور أو محدودة الانتشار والتداول. شرع فرويد في التفكير بالأساس النفسي للحرب. وفي كتابته عن الحرب والموت توصل إلى ان بواعث العدوان هي أشد بكثير مما يتوقع الناس. والمسألة هي في وجوب تصعيد أو إعادة توجيه طاقة هذا العدوان. والحرب في رأي فرويد هي نتاج حفنة من القادة المتنفذين ذوي النوايا الشريرة الذين يحرضون مواطنيهم على الحرب إذا لا يمكن للشعب أن يتصور الحرب على حقيقتها. أمسى الناس، أثناء الحرب، شديدوا الاهتمام بالتحليل النفسي والسبب في هذا الاهتمام المفاجئ هو عُصاب الحرب أو "صدمة القصف". إذ أصبح آلاف من الجنود معاقين نفسيا وغير فعالين بعد أن واجهوا الاهوال على أرض المعركة. وعجزت السلطات الطبية عن إيجاد طريقة لعلاج هؤلاء الرجال. في عام 1918 جاء ممثلون عن حكومات ألمانيا وجمهوريتي هنغاريا

والنمسا المنفصلتين حديثا لحضور أول مؤتمر للتحليل النفسي الدولي يعقد بعد الحرب. إلا أن الرغبة في إنشاء مراكز العلاج النفسي لضحايا عُصاب الحرب لم تدم طويلا بسبب تعرض هذه الدول إلى ثورات داخلية. كانت سنوات ما بعد الحرب عسيرة على فرويد. إذا لم يتوافر إلا القليل من الطعام أو الوقود في فيينا. واختفى الحليب واللحوم من منزل فرويد وأضحت الأقلام نادرة من عام 1918 حتى عام 1921. وذات مرة، سُئل فرويد إن كان يقبل بمقايضة أوراق بحثه بالبطاطا بدلا من المال. وفي الأعوام التي تلت الحرب عانت العملة النمساوية من تضخم هائل. في وسط هذا الوضع المضطرب، نشر فرويد واحدا من أكثر كتبه غرابة في ما وراء علم النفس. فقد قادته تأملاته، وهو محاط بنتائج وعواقب الحرب من موت ودمار، إلى دافع العنف عند الإنسان. أما غريزة الموت فتمثل نزوع الحياة إلى العودة إلى حالة اللاحياة، وهناك غريزة حفظ الذات، التي كانت تعرف بمبدأ الواقع، وهي جزء من غريزة الموت التي تقاوم الموت لأسباب خارجية. كما أنها تعرض التغيير حتى تموت العضوية من أسباب داخلية بدلا من أسباب خارجية. كتب فرويد "إن هدف الحياة في مجملها هو الموت". وما كان أكثر جرأة هو تصريح فرويد باحتواء ثاناتوس على دافع العدوان– وهو ذات المفهوم الذي أدى إلى طرد أدلر من الجمعية الفرويدية.

آن الأوان الآن بالنسبة لفرويد لكي يقسم الأنا. إذ هناك الأنا الشعوري الذي يسيطر على جهاز الحركة (وهو جزء من الجهاز العصبي الذي يسيطر على الحركة) والحواس، والأنا اللاشعوري الذي يكبت الأفكار المزعجة والاحلام المراقبة. ينشأ الأنا الاعلى عندما يحل الطفل عقدة اوديب. يتقمص الطفل شخصية الوالد من الجنس الآخر. ويتبنى مبادئه السلوكية وبخاصة المبادئ التي تناهض غشيان المحارم. أما الهو، الذي يتخفى في الأسفل، فهو مصدر كل الرغبات والغرائز ويقوم بتزويد اللاشعور بالطاقة. يحتوي الهو على المواد المكبوتة. إلا أنه ليس كل شيء في الهو يعتبر مكبوتا. يتوسط الأنا بين الهو والأنا الأعلى ويعمل على تدمير شؤون الواقع، وفي الوقت الذي يصرح فيه الهو عن رغباته يحاول الأنا ان يرى إن كان باستطاعته أن يرضي الهو إلا أن اختياراته العملية تواجه قيودا من قبل الأنا الأعلى. ليس الأنا الأعلى هو الضمير الأخلاقي تماما. إذا يتشرب التعليمات والأوامر الأبوية المتنازعة من مثل "عليك أن تشابه أباك" وبما أنه لا يمكن للطفل أن يكون بديلا عن أبيه فإنه "من الممكن أن لا تشابه أباك". بمقدور الأنا الأعلى أن يحدث مشاعر لاشعورية بالذنب تصبح مشاعر الذنب هذه واضحة فقط في الظروف التي تبدو سعيدة. قدم فرويد فكرة المرحلة الجديدة في الجنسية البشرية، هي المرحلة القضيبية. وأكد على أن كلا من الصبيان والبنات الصغار يعتقدون أن لكل واحد منهم قضيبا. عندما يحل الصبي عقدته الأوديبية يخشى أن يقوم والده بالقضاء على قضيبه. تضمن هذه الرهبة ان يشكل الصبي أنا اعلى قوي، أما البنات، من ناحية أخرى، فقد تعرضن مسبقا للخصاء. استخدم فرويد العوامل الاجتماعية لتفسير التغيرات التي تمس البنات، فقد كتب في بحث عنوانه "حل عقدة اوديب" عام 1924 "يبدو أن هذه التغيرات ناجحة عن التربية وعن الترهيب الذي تتعرض له من العالم الخارجي والذي يهددها بحرمانها من الحب". وهنا يقدم فرويد واحدا من أكثر مفاهيمه فُحشا: ألا وهو حسد القضيب إذ عندما ترى البنات أنهن لا يملكن القضبان المدللة التي يملكها إخوانهن يبدأن بالشعور بالدونية، ثم يرفضن أمهاتهن اللائي يمكن أن يكونن قد نزعن عن بناتهن قضبانهن أو سمحن لبناتهن بأن يولدن ناقصات. بعد ذلك البنات متيمات بآبائهن ذوي القضيب. زكما ورد في كتابات فرويد: "في الوقت الذي تم فيه القضاء على عقدة أوديب عند الصبي بواسطة عقدة الخصاء فإن عقدة البنت منشؤها عقد الخصاء ذاتها".

وبعد تحمل عشرات السنين من تدخين السيجار، تمرد جسم فرويد عليه وظهر على سطح فمه تورم مؤلم فظن أن ذلك هو ورم خبيث. وحينما استشار طبيبه الخاص، ارتكب فرويد خطأ في الطلب من طبيبه أن يساعده على "الاختفاء من هذا العالم بوقار" إن كان سيعاني من غير فائدة. اعتبر طبيب فرويد هذا الطلب بمثابة تهديد بالانتحار. واكتفى بإعلامه بوجوب إزالة الورم والتوقف عن التدخين. وفي الحقيقة كان فرويد يعاني من السرطان، بعد ذلك استشار فرويد اختصاصيا في الانف وليس جراح فم، كما يتطلب المنطق، وكانت المعالجة غير ناجحة. كما أخفق زملاء فرويد في إخباره الحقيقة. ولم يعلم فرويد

كان مخلصا لانتمائه الوطني المسيحاري النمساوي عند ابتداء الحرب،

شرع فرويد في التفكير بالأساس النفسي للحرب. وفي كتابته عن الحرب والموت توصل إلى ان بواعث العدوان هي أشد بكثير مما يتوقع الناس.

الحرب في رأي فرويد هي نتاج حفنة من القادة المتنفذين ذوي النوايا الشريرة الذين يحرضون مواطنيهم على الحرب إذا لا يمكن للشعب أن يتصور الحرب على حقيقتها.

في وسط هذا الوضع المضطرب، نشر فرويد واحدا من أكثر كتبه غرابة في ما وراء علم النفس. فقد قادته تأملاته، وهو محاط بنتائج وعواقب الحرب من موت ودمار، إلى دافع العنف عند الإنسان

هناك غريزة حفظ الذات، التي كانت تعرف بمبدأ الواقع، وهي جزء من غريزة الموت التي تقاوم الموت لأسباب خارجية

آن الأوان الآن بالنسبة لفرويد لكي يقسم الأنا. إذ هناك الأنا الشعوري الذي يسيطر على جهاز الحركة (وهو جزء من الجهاز العصبي الذي يسيطر على الحركة) والحواس، والأنا اللاشعوري الذي يكبت

عن تشخيصه حتى شهر أيلول، بعد أن قضى إجازة في روما مع ابنته آنّا. خضع فرويد لعملية إزالة الورم السرطاني وتم التلاؤم مع جراحة ترقيعية وهي إضافة صفيحة فكية صناعية بحيث استطاع أن يعاود تناول الطعام والتكلم. وفي المحصلة، خضع فرويد إلى أكثر من 30 عملية جراحية، علاوة عن العمليات الترقيعية والتجريفية على مدى 16 عاما. وبالرغم من كل ما حدث له لم يتوقف عن تدخين السيجار. في بواكير العقد الذي يبدأ بعام 1920 أخذ يذيع صيت فرويد بسرعة. وقبل الحرب العالمية الاولى كان معظم المحللين النفسيين قد تدربوا على يد فرويد شخصيا أو أحد أفرانه المقربين. وكان هناك في ذلك الوقت معاهد للتحليل النفسي في نيويورك ولندن. فكيف كان على الجمعية الدولية للتحليل النفي التأكد من مراعاة مبادئها ومعاييرها؟ كان لهذا السؤال أهمية خاصة في البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية. إذ أخذ المحللون التفسيون، الذين كانلهم أسلوبهم الخاص في التحليل ولم يخضعوا للتدريب المحترف يعلقون اللافتات في كل مكان. وفي مثل هذه الأجواء كتب فرويد "في مسألة التحليل غير المدرسي" عام 1926. وفيه أيد فرويد بقوة التحليل غير المدرسي الذي هو مهنته ابنته. كما كتب فرويد إلى أحد الأصدقاء قائلا "أريد حماية التحليل من الأطباء". زعم فرويد أنه يفتقد إلى الصلاحية الطبية المناسبة. وتلك الشهادة الطبية ليست فقط غير ضرورية لممارسة التحليل بل أنها تسببت في معاملة الأطباء بطريقة منحازة. على أية حال لم يكن فرويد امبراطور التحليل النفسي كما كان في وقت من الاوقات إذ استمرت جميعة نيويورك للتحليل النفسي في اشتراط الحصول على الإجازة في الطب قبل الحصول على التدريب في التحليل النفسي. واستندت في موقفها ذلك على انه من المرغوب فيه سياسيا وماليا السماح فقط لمحترفي مهنة الطب أن يمارسوا التحليل النفسي وأن ينالوا أجورا مالية على اتعابهم. حتى إن كارولين نيوتن التي مرت على التحليل مع فرويد وترجمت كتابات أوتو رانك إلى اللغة الإنكليزية منعت من الانضمام إلى الجمعية. إن الرفض الأمريكي لتدريب محللين ليسوا اطباء كان له تأثير على استبعاد النساء من هذه المهنة في الولايات المتحدة.

10- الإرهاق ص 199- 215

ازداد بال فرويد انشغالا بكيفية تطبيق التحليل النفسي على المجتمع وكما كتب في دراسة (السيرة الذاتية) في عام 1925، "لقد أدركت بشكل في غاية الوضوح أن أحداث التاريخ البشري والتفاعل بين طبيعة الإنسان والتطور الثقافي وترسبات الخبرة البدائية (أكبر مثال بارز على ذلك هو الدين) ليسوا أكثر من انعكاس الصراعات الديناميكية بين الأنا، والهو، والأنا الأعلى، إنها دراسات التحليل النفسي في الفرد- هي تماما نفس العمليات مكررة على نطاق أوسع". في عام 1927، نشر فرويد كتابه (مستقبل الوهم)، وهو محاولة للتقصي عن أصل الدين. استهل فرويد الكتاب بمناقشة العلاقة بين المجتمع والفرد. أما الثقافة فهي، وفقا إلى فرويد، موجودة لكي "تتحكم بقوى الطبيعة" ولكي "تنظم علاقة الإنسان بالانسان". إذ يتوجب على الأفراد أن ينظموا رغباتهم في سبيل المجتمع. رعم فرويد أن الدين لم يجعل الإنسان التقي سعيدا أو لم يساعد الناس على التكيف مع الحضارة، إذ صرح بأن "عددا هائلا من الناس غير راضين عن الحضارة وليسوا سعداء بها ويشعرون كما لو قيد ينبغي إزاحته". وفي المقابل كتب فرويد "تشكل الروح العلملية موقفا معينا تجاه القضايا الدنيوية... فكلما زاد عدد الذين يقعون خارج نطاق الاعتقاد الديني". أخذ فك فرويد الاصطناعي بالتسبب له بالآلام المبرحة. فكان يجد في معظم الأحيان صعوبة في التكلم أو في تناول الطعام وغالبا ما كان يعيش مع الألم. تذكرت إحدى تلاميذ فرويد الشباب، ماريس تشويسي Maryse Choisy فرويد يتحدث عن مستقبل الوهم، قائلا "هذا هو أسوأ كتاب لي!... إنه ليس كتابا من كتب فرويد... إنه كتاب رجل يعاني من الشيخوخة! زد على أن فرويد هو ميت الآن، وصدقيني، إن فرويد الحقيقي هو رجل عظيم. وانا بالتحديد متأسف من أجلك لأنك لم تعرفيه جيدا". وعلى الرغم من أن جسم فرويد أصبح أسير مرض السرطان فقد باشر العمل على كتاب جديد هو (الحضارة ومنغصاتها) الذي نشره في عام 1930. وعلى نحو مشابه لكتاب (مستقبل الوهم) يتحدث كتاب

الأفكار المزعجة والاحلام المراقبة

بعد تحمل عشرات السنين من تدخين السيجار، تمرد جسم فرويد عليه وظهر على سطح فمه تورم مؤلم فظن أن ذلك هو ورم خبيث. وحينما استشار طبيبه الخاص، ارتكب فرويد خطأ في الطلب من طبيبه أن يساعده على "الاختفاء من هذا العالم بوقار" إن كان سيعاني من غير فائدة

خضع فرويد لعملية إزالة الورم السرطاني وتم التلاؤم مع جراحة ترقيعية وهي إضافة صفيحة فكية صناعية بحيث استطاع أن يعاود تناول الطعام والتكلم

خضع فرويد إلى أكثر من 30 عملية جراحية، علاوة عن العمليات الترقيعية والتجريفية على مدى 16 عاما. وبالرغم من كل ما حدث له لم يتوقف عن تدخين السيجار

رعم فرويد أن الدين لم يجعل الإنسان التقي سعيدا أو لم يساعد الناس على التكيف مع الحضارة، إذ صرح بأن "عددا هائلا من الناس غير راضين عن الحضارة وليسوا سعداء بها ويشعرون كما لو قيد ينبغي إزاحته

أخذ فك فرويد الاصطناعي بالتسبب له بالآلام المبرحة. فكان يجد في معظم الأحيان صعوبة في التكلم أو في تناول الطعام وغالبا ما كان يعيش مع الألم

الحضارة عن التفاعل القائم بين الفرد والدين والثقافة. استهل فرويد الكتاب بافتراض أن البشر ليسوا سعداء. فقد كتب، إننا إن لم نكن مهددين بالعواصف والزلال والطاعون فإننا نراقب أجسامنا وهي تتداعى مترقبين الموت. تضمن الحضارة للبشر أن يكونوا غير مطمئنين على الدوام. في عام 1930 حاز فرويد على جائزة غوته Goethe Prize، وهي جائزة تقدمها مدينة فرانكفورت في ألمانيا لأولئك الذين يقدمون إسهامات عظيمة للثقافة. كان فرويد في غاية السعادة وقد حصل على مبلغ 10.000 مارك مرفقا بالجائزة. وكان على فرويد أن يرسل ابنته أنّا نيابة عنه لحضور الاحتفال إذ لم يتح له مرضه الشديد فعل ذلك. في عمر 74 سنة أضحى فرويد رجلا عجوزا ومريضا وكان طبيبه المختص بجراحة الفم يجري له فحوصات دورية مخافة أن يعود مرض السرطان إليه وأقلع فرويد أخيرا عن تدخين سيجاره المفضل. في نفس هذا العام توفيت والدة فرويد عن عمر 95 سنة. لم يهتز فرويد لهذا الحدث مثلما فعل بعد وفاة والده. وعوضا عن ذلك أحس بالارتياح، الارتياح من أن أمه سوف لن تعاني من المرض والارتياح في أنه يستطيع أن يموت من غير أن يسبب لأمه العذاب. لم يحرك انزلاق فيينا البطيء نحو الديكتاتورية فرويد من أجل أن يرحل عن البلد. أما أصدقاء فرويد في الخارج الذين كانوا أكثر إدراكا بخطورة الوضع، فقد بدؤوا يرسلون له عروضا باللجوء السياسي، لكن فرويد قاوم ذلك. إذ كان مرتاحا في فيينا وعاش في نفس المنزل قرابة 40 عاما ولديه أصدقاء وأقارب ممن كانوا يهتمون بأمره.

كان فرويد كارها المغادرة، فقد كان مسنا وضعيفا وخائفا من ألا يكون مقبولا في بلد أخرى. في عام 1938 لم يكن العالم متعاطفا مع اللاجئين اليهود. طار إرنست جونز إلى فيينا لكي يقنع فرويد بالمغادرة وفي النهاية اقتنع بأنه من الممكن أن يهجر النمسا، طالما أن النمسا قد هجرته. وعلى الرغم من عدم رغبة الحكومة النازية الجديدة في أن تدع فرويد يغادر البلد، فقد كان له أصدقاء من ذوي النفوذ القوي في المحتمع الدولي. بذل سفير الولايات المتحدة في فرنسا والقنصل الأمريكي العام في فيينا والأميرة ماري بونابرت Marie Bonaparte التي لها صلة قربى بمعظم الزعماء الملكيين في أوروبا– وأصدقاء إرنست جونز في مكتب الخارجية البريطاني، قصارى جهودهم لنقل فرويد إلى إنكلترا. قبض على أنّا لكنها بقيت متنبهة لنفسها وأطلق سراحها. طلب النازيون بالمال لقاء سماحهم لفرويد بالمغادرة، فقامت ماري بونابرت بتسديد المال لهم. تم السماح لفرويد بمغادرة فيينا بتاريخ 4 حزيران 1983 من غير رجعة. ولقد تم ترتيب كل المنزل وكأنه نسخة قريبة من حجرات منزل فرويد على شارع 19 بيرغاس وباشر فرويد تحليل بضع حالات مرضية بعد فترة وجيزة، لكنه استمر في حزنه وكآبته. وعندما ذكر له أحد الزائرين أن دراسته الجديدة مطابقة لدراسته القديمة في فيينا، رد عليه بضجر قائلا "كل شيء هنا، وأنا الوحيج الذي لست هنا". كان كتاب فرويد (موسى والتوحيد) أكثر اعماله إثارة للجدل. إذ لم يكن كتابا عن نظرية التحليل النفسي بالمعنى الدقيق. وأشار إليه فرويد ذاته على أنه "رواية تاريخية". وحدث ما توقعه فرويد، فقد تعرض للانتقاد على نطاق واسع بسبب كتابه موسى والتوحيد. وقال المعرضون أن كتاباته غير صحيحة تاريخيا واستنتاجاته جارحة. ومع ذلك راج بيع الكتاب وتمت ترجمته بسرعى إلى اللغة الإنكليزية. من حسن طالع فرويد أن تم ذلك بسرعة، فقد شارف فرويد على الموت بسبب معاودة مرض السرطان في خريف عام 1937، وأضحى غير قادر على تحمل علاجات جراحية أخرى. وفي شهر شباط من عام 1939 اعلن أطباؤه الجدد في لندن ان مرض السرطان عنده غير قابل للعلاج أو للإجراء الجراحي.

وتضيف الكاتبة، أنه في شهر تموز توقف فرويد عن رؤية المرضى لكنه استمر في المطالعة، وكان آخر كتاب قرأه هو رواية لبلزاك، وهو نفس المؤلف الذي منع أخته من قراءة كتبه من قبل سنوات عديدة. بدأ النسيج الخليوي السرطاني بالتقرح وبإصدار رائحة مقيتة. واعتبارا من شهر آب وصاعدا أصبح كلبه يرفض الاقتراب منه. ومع ذلك شرع الرجل المحتضر بإجراء تعديل آخر على نظريته تحت عنوان "الموجز في التحليل النفسي" لكنه تخلى عنه، جزئيا لأنه كان يكابد ألما مستمرا. كما رفض تناول الدواء، لأنه أراد أن يبقي ذهنه متوقدا. في 21 أيلول من عام 1939 طلب فرويد منماكس شور Max Schur طبيبه الشخصي أن يساعده قائلا: "الآن أصبح الأمر لا شيء إلى عذاب ولم يعد له معنى". وبعد

في عمر 74 سنة أضحى فرويد رجلا عجوزا ومريضا وكان طبيبه المختص بجراحة الفم يجري له فحوصات دورية مخافة أن يعود مرض السرطان إليه وأقلع فرويد أخيرا عن تدخين سيجاره المفضل

طلب النازيون بالمال لقاء سماحهم لفرويد بالمغادرة، فقامت ماري بونابرت بتسديد المال لهم. تم السماح لفرويد بمغادرة فيينا بتاريخ 4 حزيران 1983 من غير رجعة

كان كتاب فرويد (موسى والتوحيد) أكثر اعماله إثارة للجدل. إذ لم يكن كتابا عن نظرية التحليل النفسي بالمعنى الدقيق. وأشار إليه فرويد ذاته على أنه "رواية تاريخية

تعرض للانتقاد على نطاق واسع بسبب كتابه موسى والتوحيد. وقال المعرضون أن كتاباته غير صحيحة تاريخيا واستنتاجاته جارحة

شارف فرويد على الموت بسبب معاودة مرض السرطان في خريف عام 1937، وأضحى غير قادر على تحمل علاجات جراحية أخرى. وفي شهر شباط من عام 1939 اعلن أطباؤه الجدد في لندن ان مرض السرطان عنده غير قابل للعلاج أو للإجراء الجراحي

في شهر تموز توقف فرويد عن رؤية المرضى لكنه استمر في المطالعة، وكان آخر كتاب قرأه هو رواية لبلزاك، وهو

التشاور مع أنّا، حقن شور فرويد بجرعة كبيرة من المورفين. وعلى مدى اليومين التاليين، حقنه بجرعتين إضافيتين. وفي 23 أيلول من عام 1939 مات الدكتور سيغموند فرويد، مؤسس التحليل النفسي. خلافا للتقاليد اليهودية، تم إحراق جثته ووضع رماده في جرته الإغريقية المفضلة. أما مارثا بيرنيز فرويد المخلصة فقد أشعلت للمرة الأولى منز زواجها قنديل السبت اليهودي يوم الجمعة ليلا.

11- الخاتمة ص 217- 220

لم تكن أعمال فرويد مثالية إذ لم يتسامح مع المشككين وطرد بعضا من أكثر تلامذته موهبة من حركة التحليل النفسي لأنهم لم يظهروا احتراما كافيا لأفكاره. لا تزال موضوعات بحوثه والطرائق التي استخدمها في التوصل إلى استنتاجاته مثيرة للجدل حتى هذا اليوم. ومع ذلك تجد الكثير من نقاد الأدب يستشهدون بما جاء في كتاب تفسير الاحلام لدعم نظرياتهم، بينما عارض بعض علماء الأحياء فكرة فرويد عن العقل البشري على أنها محض دجل، ليست جديرة حتى بالدراسة. في عام 1995 تم تأجيل معرض عن فرويد أعلن عن موعد افتتاحه في مكتبة الكونغرس (مجلس النواب) الأمريكي وكان من أسباب هذا التأجيل هو عجز امين المكتبة عن ايجاد طريقة يرضي بها كلا من المؤيدين والمعارضين للمذهب الفرويدي. هذه هي المفارقة: فقد أثار فرويد حوله عاطفتين متناقضتين: ولاء شديد وحقد مرير. ليس هناك حلا سهلا للجدل القائم بين أنصار فرويد ومعارضيه. سيبقى فرويد مثيرا للجدل لأنه لا يزال واحدا من اكثر المفكرين تأثيرا في القرن العشرين. حتى لو عاش فرويد إلى يومنا فلن يستطيع أن يباشر بحثه. إذا اختفت الهستيريا في القرن العشرين وأخذ عدد النساء والرجال اللذين أظهروا أعراضا هستيرية بعد عام 1900 بالتضاؤل، ولم تعد الجمعية الأمريكية للطب النفسي تدون الهستيريا ضمن فئات الاضطرابات النفسية- فالاعراض الجسدية التي كان يراها فرويد أعراضا هستيرية أصبحت تدعى الآن اضطرابات التحول- حيث تتحول المشكلات النفسية إلى أعراض جسدية- ولا يعتقد أن لها صلة بالرضى الطفولي. لم يكن علاج الهستيريا أو السلوك العصابي إسهام فرويد الأكبر في العلم، لكنه قدّم إلى العالم طريقة جديدة في اكتشاف العقل. ليس فرويد بعالم بالمعنى الحديث للعلم، لكنه جعل الأمر ممكنا لآلاف الباحثين والمعالجين والفنانين والكتاب لكي يكتشفوا الدوافع اللاشعورية وراء السلوك، والمشاعر التي لا نعترف بها والبنية التحتية المظلمة لواجهة التفكير العقلاني.

جدول التأريخ الزمني ص 221- 224

6 أيار 1856	ولد سيغسموند شلومو فرويد في فريبرغ، مورافيا.
1860	انتقلت عائلة فرويد إلى فيينا.
1873	يدخل فرويد جامعة فيينا.
1881	يحصل فرويد على درجة الدكتور في الطب، ويعمل بتفرغ كامل في مختبر إرنست بروك.
1882	يبدأ فرويد العمل في مشفى فيينا العام ويعقد خطوبته على مارثا بيرنيز.
1884	ينشر فرويد عن "الكوكا".
1885	يسافر إلى عيادة تشاركو في باريس.
1886	يحاضر عن الهستيريا في جمعية أطباء فيينا ويقيم عيادته الخاصة.
1887	ولدت ماتيلدا فرويد، ويتقابل فرويد مع ويلهالم فلييس.
1889	ولد مارتن فرويد.
1891	ولد أوليفر فرويد.
1892	ولد إرنست فرويد.

نفس المؤلف الذي منع أخته من قراءة كتبه من قبل سنوات عديدة

شرع الرجل المحتضر بإجراء تعديل آخر على نظريته تحت عنوان "الموجز في التحليل النفسي" لكنه تخلى عنه، جزئيا لأنه كان يكابد ألما مستمرا. كما رفض تناول الدواء، لأنه أراد أن يبقي ذهنه متوقدا

في 23 أيلول من عام 1939 مات الدكتور سيغموند فرويد، مؤسس التحليل النفسي. خلافا للتقاليد اليهودية، تم إحراق جثته ووضع رماده في جرته الإغريقية المفضلة. أما مارثا بيرنيز فرويد المخلصة فقد أشعلت للمرة الأولى منز زواجها قنديل السبت اليهودي يوم الجمعة ليلا

لم تكن أعمال فرويد مثالية إذ لم يتسامح مع المشككين وطرد بعضا من أكثر تلامذته موهبة من حركة التحليل النفسي لأنهم لم يظهروا احتراما كافيا لأفكاره

أثار فرويد حوله عاطفتين متناقضتين: ولاء شديد وحقد مرير. ليس هناك حلا سهلا للجدل القائم بين أنصار فرويد ومعارضيه

سيبقى فرويد مثيرا للجدل لأنه لا يزال واحدا من اكثر المفكرين تأثيرا في القرن العشرين. حتى لو عاش فرويد إلى يومنا فلن يستطيع أن يباشر بحثه. إذا اختفت الهستيريا في القرن العشرين وأخذ عدد النساء والرجال

1895	يشاهد فرويد "حلم حقنة إرما"؛ ينشر دراسات عن الهستيريا.
1896	ولدت أنّا فرويد؛ يموت والد فرويد، يحاضر فرويد عن عن نظرية الإغواء في فيينا.
1897	يباشر فرويد بالتحليل النفسي الذاتي، يرفض نظرية الإغواء.
1902	يتوقف فرويد عن المراسلة مع فلييس؛ تبدأ جمعية الأربعاء النفسية.
1904	يبدأ فرويد بمراسلة كارل يونغ.
1905	ينشر "ثلاث مقالات عن النظرية الجنسية".
1909	يزور الولايات المتحدة.
1914	يكتب "عن الترجسية"؛ تبدأ الحرب العالمية الأولى.
1918	يحضر ممثلون عن ثلاث حكومات مؤتمر التحليل النفسي الأولى بعد الحرب.
1920	وفاة سوني فرويد.
1922	تنضم أنّا فرويد إلى جمعية فيينا للتحليل النفسي.
1923	يتم تشخيص مرض السرطان في فك فرويد.
1926	ينشر "مسألة التحليل العادي"
1929	يكتب "الحضارة ومنغصاتها".
1933	يحرق النازيون كتب فرويد في ألمانيا.
1938	يهرب فرويد من فيينا؛ ينشر "موسى والتوحيد"
23 أيلول، 1939	وفاة فرويد في إنكلترا.

اللذين أظهروا أعراضا هستيرية بعد عام 1900 بالتضاؤل

لم تعد الجمعية الأمريكية للطب النفسي تدون الهستيريا ضمن فئات الاضطرابات النفسية- فالاعراض الجسدية التي كان يراها فرويد أعراضا هستيرية أصبحت تدعى الآن اضطرابات التحول- حيث تتحول المشكلات النفسية إلى أعراض جسدية- ولا يعتقد أن لها صلة بالرضى الطفولي

ليس فرويد بعالم بالمعنى الحديث للعلم، لكنه جعل الأمر ممكنا لآلاف الباحثين والمعالجين والفنانين والكتاب لكي يكتشفوا الدوافع اللاشعورية وراء السلوك، والمشاعر التي لا نعترف بها والبنية التحتية المظلمة لواجهة التفكير العقلاني

سيبقى فرويد مثيرا للجدل لأنه لا يزال واحدا من اكثر المفكرين تأثيرا في القرن العشرين، وقد حظي بمؤيدين لنظرياته المتعددة وبخاصة اللاشعور، وكذلك حظي بمعارضين حتى من رفاقه وتلاميذه. يعد هذا الكتاب من أمتع ما قرأت عن حياة فرويد في أدق تفاصيها منذ ولادته حتى وفاته. فهو يستحق من كل المهتمين بالتحليل النفسي وبالفرويدية عموما أن يقفوا تعظيما وتخليدا في يوم مولده العظيم، وأن يقرأوا سيرة حياته العطرة بكل تأني وهدوء، ففيها الكثير والكثير من المحطات الهامة والملهمة للاقتداء والاهتداء به في حقل الصحة النفسية

رابط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR203MaanFreudDiscovererOfTheSubconscious.pdf

****** ******* ******

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2024 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الخامس عشر)

الشبكة تدخل عامها 24 من التأسيس و 21 على الويب

24 عاما من الكدح... 21 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf